النشأة النبوية وقيمها التربوية
في ضوء سورة الضحى

د. إيمان شحته حسن محمد
مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات
جامعة الأزهر – فرع المنصورة

المقدمـــة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، شرح صدور أهل الاسلام بالهدي، وطبع الضلال في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبدا، وأصلي وأسلم علي خاتم المرسلين سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد، عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلي آله وأصحابه حبل الهدى، وينبوع التقى، صلاة تبقى وسلاما يترى .

أما بعد،،،

لقد اصطفى الله نبينا وحبيبنا محمدا – عليه السلام – واجتباه من بين خلقه لتحمل أعباء الرسالة وتبليغ الشريعة، ولا عجب في ذلك ؛ فهو النبي الأعظم، والرسول الأكرم، سيد ولد آدم ولا ريب، الجوهرة الباهرة، والدرة الزاهرة .

قال تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾.(١)

إن الناظر إلى حال المجتمعات يجد أنه ما من مجتمع – بل ما من أمة – ارتقت وعلت في مراتب المجد، وسطرت اسمها في صفحات التاريخ، وأصبحت مثلا يضرب في العلو والسمو إلا كان وراء ذلك جهد كبير وتضحيات غالية، ولكن من الذي يبذل الجهد، ومن الذي يقدم تلك التضحيات الجسيمة؟ إنهم أبناؤها!.

لن ترتقي أمة إلا إذا بذل أبناؤها الجهد، وتحملوا مسئولياتهم، واستعدوا للبذل والتضحية والعطاء، ومن ثم يتبين لنا أهمية تربية الأجيال الناشئة، بل وندرك خطورة إهمالهم، وعدم تربيتهم على الجد وتحمل المسئولية.

وها هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والسلف الصالح من بعده خير مثال على ذلك فلقد أعطوا هذا الأمر ما يستحقه من العناية، بحيث نشأ أبناؤهم نشأة سوية، تحملوا المشاق والصعاب دون ملل أو كلل، وبذلوا كل ما بوسعهم لأجل نصرة الدين ورفعة الأمة دون من منهم ولا أذى.

---

(١) سورة الشورى الآية ٥٢.

ولنضرب مثالا على ذلك وكيف كانت للتربية الحسنة والتنشئة السليمة الأثر الأعظم في رقي الأمم؟

سيدنا أسامة بن زيد[٢] رباه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على الجد وتحمل المسئولية من صغره، وعندما قارب العشرين من عمره إذا برسول الله يوصي قبل وفاته بإمارته على جيش فيه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وينتقل النبي –عليه السلام – إلى جوار ربه، وينفذ سيدنا أبو بكر وصيته ببعث أسامة، فيتحمل المسئولية، ويمضي في مهمته، ويعود منها محققا الغاية التي من أجلها أرسل.

يقول الدكتور محمد حسين هيكل[٣] في كتابه " حياة محمد ": " لقد كان لإمارة أسامة بن زيد على المتقدمين الأوّلين من المهاجرين ومن كبار الصحابة ما أثار دهشة النفوس لولا إيمانها الصادق برسول الله، والنبيّ إنما أراد بتعيين أسامة بن زيد أن يقيمه مقام أبيه الذي استشهد في موقعة مؤتة، وأن يجعل له من فخار النصر ما يجري به ذلك الاستشهاد، وما يبعث إلى جانب ذلك في نفس الشباب الهمة والحميّة، ويعوّدهم الاضطلاع بأعباء أجسم التبعات"[٤].

وهذه "سابقة عظيمة لم تعهدها أمة من الأمم، تدل على وجوب فسح المجال لكفاءات الشباب وعبقرياتهم، وتمكينهم من قيادة الأمور حتى يكونوا صالحين لذلك، وهذا درس عظيم لو بقي المسلمون يذكرونه من بعد لاختفت من تاريخ الاسلام محن وكوارث، ومن تاريخ دولته عواصف وفتن زعزعت أركانها وأضعفت من قوتها[٥].

---

(٢) أسامة الحب بن زيد بن حارثة بن شراحيل، يكنى أبا محمد وأمه أم أيمن، وكان رسول الله يحبه حبا شديدا، وكان عنده كبعض أهله، قبض النبي – صلى الله عليه وسلم– وهو ابن عشرين سنة، مات بالجرف في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، انظر: (الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م، ٦٢/٤ –٧٢، باختصار).

(٣) محمد بن حسين بن سالم هيكل، كاتب صحفي، مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة، بمصر، صنف كتبا، طبع منها (حياة محمد) و(في منزل الوحي) وغيرها، توفي بالقاهرة سنة ١٩٥٦م ، انظر :(الأعلام – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م . ١٠٧/٦، باختصار) .

(٤) حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، محمد حسين هيكل ، صـ ٣٠٩ بدون بيانات عن الطبعة.

(٥) انظر: السيرة النبوية – دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م ، صـ ١٦٩–١٧٠ .

فلله دره –صلى الله عليه وسلم– المؤيد من السماء، الموهوب بالحكمة والسداد، وبعد النظر مالم يوهب نبي قبله، ولم يعرف عن عظيم في التاريخ من قبله ومن بعده، ورضي الله عن أسامة الشاب، وهنيئاً له ثقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بكفاءته وصدق عزيمته –رضي الله عنه – وجعله قدوة لشبابنا المؤمنين العاملين.

هكذا يربى الأجيال وينشأ الشباب على تحمل المسؤولية حتى يكونوا أحق بها وأهلها، فتقوم دولتنا وتقوى شوكتنا وننهض بإسلامنا بمثل هذا النموذج من الشباب الواعي الفطن المخلص ، وهذه القيم العظيمة هي نفسها التي قد ربي الله – عز وجل – رسوله الكريم عليها في تبليغه الرسالة التي كلفه بها ، وهذا هو مناط حديثنا وجوهر بحثنا –بإذن الله تعالى .

أسباب اختياري للموضوع :

لقد كان من أسباب اختياري للموضوع ما يلي:

- خدمة كتاب الله –عز وجل –.
- تسليط الضوء على نشأة النبي المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ودراسة سيرته العطرة من المنظور القرآني.
- إبراز العناية الربانية للنبي – عليه السلام – في ضوء سورة الضحى، وأثر ذلك عليه في تحمل أعباء الرسالة.
- استخراج قيم تربوية من خلال دراسة تلك النشأة النبوية والعناية الربانية بالنبي، والتي قد تفيدنا في حياتنا، ونحاول تطبيقها على أبنائنا الذين يشكلون بناة المجتمع، وأمل هذه الأمة – إن شاء الله –

منهج البحث:

استخدمت الباحثة في البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي وفق المحاور التالية :

١- إعداد دراسة عامة عن سورة الضحى.
٢- جمع ما يتعلق بتفسير الآيات التي تتحدث عن النشأة الربانية في سورة الضحى.
٣- انتقاء الآيات الكريمة، والأحاديث والآثار التي تخدم البحث بشكل واضح ومباشر.
٤- تخريج الأحاديث وبيان مواضعها من كتب السنة الأصلية المعتمدة، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن كذلك عزوته إلى مصادره التي أخرجته مع بيان درجته.
٥- تتبع أقوال العلماء من مفسرين وشراح للحديث لاختيار المناسب من أقوالهم لتوظيفها في فهم النصوص وتوجيهها، مع محاولة توجيه هذه الأقوال، وبيان ما يستخلص أو يستنتج منها.

٦- توثيق الأقوال والمعلومات الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.

٧- في أثناء العزو في الهامش قمت بذكر اسم المرجع كاملا – في حال ذكره للمرة الأولى – اسم الكتاب، اسم المؤلف، المحقق، الناشر، الطبعة، تاريخها إن وجد ، ثم مختصرا – في حالة ذكره مرة أخرى.

٨- الترجمة للأعلام المذكورين في البحث.

٩- ذكر أهم نتائج البحث والتوصيات الموصي بها .

١٠- إعداد فهرس للمراجع بذكر اسم المرجع كاملا، مرتبة حسب الترتيب الأبجدي.

١١- إعداد فهرس للموضوعات حسب ذكرها في البحث , مع ذكر رقم الصفحة لسهولة الوصول إليها .

خطة البحث :

ينقسم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي:

أولا : المقدمة وتشتمل على:

- أهمية البحث .
- أسباب اختيار موضوع البحث .
- منهج البحث .
- خطة البحث .

ثانيا : التمهيد

ويتضمن دراسة عامة عن سورة الضحى .

ثالثا : ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : نشأته – صلى الله عليه وسلم – يتيما .
- المبحث الثاني : البيئة التي نشأ فيها النبي – عليه السلام –.
- المبحث الثالث : نشأته – صلى الله عليه وسلم – فقيرا .

رابعا : الخاتمة وتتضمن:

- أهم نتائج البحث .
- توصيات البحث .

خامسا : المراجع.

وختاما، فإن هذا البحث ابتغيت به وجه الله – عز وجل – وهو من عمل البشر يحتمل الخطأ والصواب فإن كان فيه خطأ فمنى وما كان فيه من صواب فبتوفيق الله وفضله .

فالحمد والشكر لله رب العالمين، حمدا وشكرا يليقان بإكرام الله لنا بهذه الرحمة المهداة، ببعثة سيدنا محمد بن عبد الله، وصل اللهم على الرسول الكريم، الحريص على المؤمنين، الرؤوف الرحيم بهم، واجزه اللهم عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته .

التمهيد:

دراسة عامة عن سورة الضحي.

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم–؛ ليكون هداية وسكناً واطمئناناً له ولكلّ مؤمن، وحلاً لكلّ مشكلة يتعرض لها المسلمون، وكل سورة منه لها مزاياها الخاصة وحِكمَها العظيمة، منها سورة الضحى التي تتجلّى فيها رحمة الله ونعمه على رسوله وعلى الخلق أجمعين "وهذه السورة بموضوعها، وتعبيرها، ومشاهدها، وظلالها وإيقاعها، لمسة من حنان، ونسمة من رحمة، وطائف من ود، ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتتسم بالروح والرضى والأمل ، وتسكب البرد والطمأنينة واليقين، إنها كلها خالصة للنبي – صلى الله عليه وسلم– كلها نجاء له من ربه، وتسرية وتسلية وترويح وتطمين، كلها أنسام من الرحمة وأنداد من الود، وألطاف من القربى، وهدهدة للروح المتعب، والخاطر المقلق، والقلب الموجوع"[٦].

نزولها :

"نزلت بمكة بعد سورة الفجر على أثر انقطاع الوحي أياما، وهي إحدى عشرة آية ومثلها في عدد الآي القارعة والعاديات والجمعة والمنافقون، وهي أربعون كلمة، ومائتان وسبعون حرفا، لا يوجد في القرآن سورة مبدوءة أو مختومة بما بدئت وختمت به"[٧].

سبب النزول :

ما روي أن جندب بن سفيان[٨] – رضي الله عنه –، قَالَ: " اشْتَكَى رَسُولُ – صلى الله عليه وسلم – فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ – أَوْ ثَلاَثًا – "، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ[٩] فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَن يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ

---

(٦) الأساس في التفسير ، سعيد حوّى ، دار السلام – القاهرة –الطبعة السادسة، ١٤٢٤ هـ–٦٥٦٦/١١.

(٧) بيان المعاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني ، مطبعة الترقي – دمشق الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م، ١ /١٥٢، وانظر : مصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م، ٣ / ٢٠٢.

(٨) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي وهو العلقي، ويقال جندب الخير، انظر : (معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي ، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت الطبعة: الأولى،١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٥٣٤/١–٥٣٦، باختصار).

(٩) هي العوراء بنت حرب أخت أبي سفيان وهي حمالة الحطب زوج أبي لهب . انظر:(فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ٣١٩/١).

قَرِبَكَ[١٠] مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ- أَوْ ثَلاَثَةٍ – فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[١١].

يقول الإمام المراغي[١٢] – رحمه الله – :" نزلت هذه السورة حاملة له – صلى الله عليه وسلم – أجمل البشرى، ملقية فى نفسه الطمأنينة، معدّدة ما أنعم الله به عليه، وكأنه تعالى يقول لرسوله: إن من أنعم عليك بكذا وكذا لم يكن ليتركك ولا ينساك بعد أن هيأك لحمل أمانته، وأعدّك للاضطلاع بأعباء رسالته، فلا تحزن على ما كان من فترة الوحى عنك، ولا يكن فى صدرك حرج منها، فما ذلك إلا لتثبيت قلبك، وتقوية نفسك على احتمال مشاقّها"[١٣].

تسميتها والغرض منها :

سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [١٤].

والمراد بالضحى: وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها.

وقيل: الضحى هو النهار كله[١٥].

الغرض منها :

"تثبيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وإيناسه، وكان الوحي قد أبطأ عليه بعد نزوله، فقلق لإبطائه وحزن، وقد ذكر سبحانه في تثبيت الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه عليه الصلاة والسلام كان يتيما فآواه، وفقيرا فأغناه، ثمّ أمره بمواساة اليتيم والفقير، وبهذا

---

(١٠) بِكَسْر الرَّاء وَلَفظ قرب يَجِيء لَازِما ومتعديا يُقَال: قرب الشَّيْء بِالضَّمِّ أَي: دنا وقربته بِالْكَسْرِ أَي: دَنَوْت مِنْهُ". انظر:(عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ٣٠٠/١٩).

(٤) أخرجه الامام البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب "ما ودعك ربك وما قلى " ٦ / ١٧٢، ح (٤٩٥٠) (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ).

(١٢) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها ، ولي نظارة بعض المدارس ، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم ، توفي بالقاهرة١٣٧١هـ . انظر: (الأعلام ٢٥٨/١).

(١) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م. ١٨٣/٣٠.

(٢) سورة الضحى الآيتين ١-٢.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ. ١٩٠/٣١ .

أشبهت سورة الضحى سورة الليل في بعض سياقها"[١٦].

وزاد ابن عاشور[١٧] – رحمه الله – :"الغرض من السورة إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي – صلى الله عليه وسلم– قد انقطع عنه، وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى، وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه، وذلك يغيظ المشركين، ثم ذكره الله بما حفه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله"[١٨].

مقاصدها:

لسورة الضحي مقاصد كثيرة منها :

١- القسم بالضحى والليل، على أن الله ما قلا رسوله وما تركه.
٢- وعد الرسول بأنه سيكون في مستقبل أمره خيرا من ماضيه.
٣- تذكيره بنعمة الله عليه فيما مضى، وأنه سيواليها عليه.
٤- طلب الشكر منه على هذه النعم" [١٩].

يقول الإمام البقاعي[٢٠] – رحمه الله:" ومقصودها: الدلالة على آخر الليل، بأن أتقي الأتقياء الذي هو الأتقى على الإطلاق في عين الرضا دائماً، لا ينفك عنه في دنيا ولا في آخرة، لما تحلى به من صفات الكمال، التي

---

(١٦) الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٠ هـ، ٧/١٢.

(١٧) محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي، أديب،من دعاة الإصلاح الإجتماعي والديني ولد ونشأ وتعلم بتونس ، له أبحاث ودراسات ومقالات كثيرة نشرت في كبريات المجلات بتونس ومصر ، وتوفي بتونس ١٩٧٣م ، انظر:(معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م، ٢/٥٤١-٥٤٢، باختصار).

(١٨) التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ ٣٠/٣٩٤.

(٢) الموسوعة القرآنية ، جعفر شرف الدين،١٢/ ٥.

(٢٠) هو الشيخ إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط أبو الحسن برهان الدين البقاعي الشافعي ولد سنة ٨٠٩هـ في قرية بلبنان، ونشأ بها، من أهم مؤلفاته : مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الصور، نظم الدرر في تناسب الآى السور وغيرها ، وتوفي في دمشق سنة ٨٨٥ هـ . انظر:(إمتاَعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري، إلياس بن أحمد حسين – الشهير بالساعاتي – بن سليمان بن مقبول علي البرماوي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٢/٧٤-٧٩، باختصار).

هي الإيصال للمقصود، بما لها من النور المعنوي، كالضحى بما له من النور الحسى، الذي هو أشرف ما في النهار، وقد علم بهذا: أن اسمها دال على مقصودها"[٢١].

مناسبتها لما قبلها :

هذه السورة متصلة بسورة الليل من وجوه منها :

١ – "ختمت سورة الليل بوعد كريم من اللَّه تعالى بإرضاء الأتقى في الآخرة، وقال تعالى في سورة الضحى مؤكدا وعده لنبيه – صلى الله عليه وسلم– بقوله:"﴿ ﴾ ﴿ ﴾[٢٢].

٢– ذكر تعالى في السورة السابقة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ [٢٣] ثم عدد اللَّه تعالى نعمه على سيد الأتقياء في هذه السورة وهو محمد صلى الله عليه وسلم "[٢٤].

٣– لما كانت سورة الضحى نازلة في شأنه – صلى الله عليه وسلم– افتتحت بالضحى، الذي هو نور، ولما كانت سورة الليل نازلة في بخيل في قصة طويلة[٢٥]، افتتحت بالليل الذي هو ظلمة "[٢٦].

٤– يقول الإمام الألوسي[٢٧] – رحمه الله – موضحا صلة سورة الليل بسورة الضحي:" لما كانت الأولى سورة أبي بكر – رضي الله تعالى عنه – [٢٨] وهذه سورة رسول

(٢١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ٣ / ٢٠٢ –٢٠٣.

(٢٢) سورة الضحى الآية ٥ .

(٢٣) سورة الليل الآية ١٧ .

(٢٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د /وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ، ٢٧٩/٣٠.

(٢٥) الذي نزل في البخيل من قوله تعالى : ﴿ ﴾ سورة الليل: الآيات من ٨–١١ ، واالقصة مذكورة في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم ، المحقق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ ،٣٤٣٩/١٠– ٣٤٤٠.

(٢٦) انظر أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، صـ ١٦٠.

(٢٧) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها ، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا . انظر :(الأعلام للزركلي، ١٧٦/٧).

(٢٨) الذي نزل في أبي بكر –رضي الله عنه– من هذه السورة قوله تعالى: ﴿ ﴾ إلى ﴿ ﴾ الليل: ٥–٧"، أخرج ابن جرير أنه كان يعتق على الإسلام بمكة

الله – صلى الله عليه وسلم – عقب جل وعلا بها ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم أن لا واسطة بين رسوله – صلى الله عليه وسلم – والصديق – رضي الله تعالى عنه –، وتقديم سورة الصديق على سورته – عليه الصلاة والسلام – لا يدل على أفضليته منه – صلى الله عليه وسلم – ألا ترى أنه تعالى أقسم أولا بشيء من مخلوقاته سبحانه ثم أقسم بنفسه عز وجل"[٢٩].

فضلها :

لم يثبت حديثٌ نبوي خصّ سورة الضحى بفضلٍ معينٍ، لكن يمكن أن نأخذ بفضلها كأي سورةٍ من سورة القرآن، يحصل المتفكّر في آياتها على الراحة النفسية، وينال تاليها الأجر العظيم من الله تعالى، ففي كلّ حرفٍ له عشر حسنات، والله يضاعف لمن يشاء، وهذا شأن كل سور القرآن الكريم .

وبالجملة فإن السورة " تذكير الله –عز وجل– لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بما منّ عليه من نعم ظاهرة وباطنة تدل على إكرامه له وعنايته به ورعايته له، وحبه إياه رادا على قول المشركين وزعمهم أن ربه قلاه ، كما تناولت السورة معان جليلة تتلاءم مع النعم المذكورة من ناحية، ولا غنى للناس عنها من ناحية أخرى ترسم السورة تلك المعاني فى نفوس المؤمنين، ليؤسسوا أمتهم على مكارم الأخلاق وحسن الصفات والتكافل الصحيح فى الجوانب المادية والمعنوية"[٣٠].

ولقد تحدثت السورة عن عناية الله برسوله حيث كان يتيما فآواه، ضالا فهداه، عائلا فاغناه، وهو محور مبحثي – بمشيئة الله – والذي يتحدث عن تلك النشأة النبوية والعناية الربانية بالنبي وأثر ذلك عليه في تحمل رسالة ربه، مع استخلاص القيم التربوية التي تحويها تلك النشأة.

المبحث الأول: نشأته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتيما

لقد كان لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– عناية خاصة من الله تعالى ؛ ولم لا؟! فهو النبي الخاتم، الذي لا نبي بعده ،هو محمد

عجائز ونساء إذا أسلمن فَلامَهُ أبوه، فنزلت. (جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ٤٧١/٢٤).

(٢٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ٣٧٢/١٥، وانظر: أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، صـ ١٦٠.

(٣٠) تاريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء – المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، صـ ١٥٣ بتصرف يسير.

– صلى الله عليه وسلم–سيد الخلق، وأفضل الرسل، وخاتم الأنبياء، الذي أحاطته الرعاية الربانية، والعناية الإلهية منذ الصغر، بحيث تميّزت طفولته عن بقيّة البشر، وكان ذلك من تهيئة الله لنبوته وبعثته، يقول صاحب كتاب (النبوة اصطفاء وقدوة):"إذا كان لبعث النبي عند الله ميعاد معلوم فإن أحواله وأوضاعه في مختلف مراحل حياته جارية على تقدير وتدبير من الله العزيز الحكيم؛ يختار له الوسط الذي يكتنفه، والمؤثرات التي تحيط به، ويفاعل بين نفسه وبين ما وضعه فيه، فيخلق فيها ردود الفعل المناسبة للمستقبل القريب. إن الله هو الذي يصنع الأنبياء، وينشئهم النشأة المواتية للرسالة، إنه رب العالمين الذي تقبل مريم: ﴿ الْحَاقَّةُ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ ﴾ [٣١] وهو الذي صنع موسى على عينه، ووضعه في قصر فرعون آية كبرى من آيات التحدي لطغيان سادر، غير مرعو، لينشأ في حجور الجبابرة، ويخرج من عندهم أكبر ناقم، وأشد ساخط على الظلم وتعبيد الشعوب، ومن ثم لم يكن شئ في حياة محمد – صلى الله عليه وسلم– قبل المبعث إلا بتدبير الله الخالص وتهيئته"[٣٢].

فكل لحظة في حياته الشريفة تمهيد لإصطفاء الله له واستعداد لتحمله أعباء رسالته ؛ ليكون بذلك خير نبي وخير قدوة لخير أمة أخرجت للناس، قال تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ الْحَاقَّةُ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ ﴾ [٣٣] يقول الإمام السعدي[٣٤] – رحمه الله – : "أي فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا وتبعا، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده وهذا دليل على كمال حكمة الله تعالى، لأنه وإن كان تعالى رحيما واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله"[٣٥].

([٣١]) سورة آل عمران من الآية ٣٧.

([٣٢]) النبوة اصطفاء وقدوة ، أحمد مختار البزرة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية ، ١٣٩٠هـ –١٩٧٠م، صـ ١٩–٢٠ .

([٣٣]) سورة الأنعام من الآية١٢٤.

([٣٤]) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي مفسر، محدث، فقيه، أصولي، متكلم واعظ ، ولد في عنيزة القصيم بنجد، وحفظ القرآن، وتوفي فيها ١٣٧١هـ.انظر: (معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي ، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ٣٩٦/١٣).

([٣٥]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، المحقق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، صـ ٢٧١.

لقد أحاطت عناية الله برسوله – عليه السلام – في كل لحظة من حياته ومن كافة النواحي سواء من ناحية مولده أو نسبه ، وحمل أمه به , ورضاعته ، وطفولته ، وغير ذلك من صور عناية الله به ، تلك العناية التي أثمرت شخصية متكاملة تحملت أعباء الرسالة الإلهية .

وتلك هي النعم التي عددها الله –عز وجل– في سورة الضحى وذكر منها أول نعمة من نعمه عليه وهي نعمة الإيواء بعد اليتم قال تعالى : ﴿ ﴾.[٣٦]

يقول الإمام الزمخشري[٣٧] – رحمه الله– :" عدّد عليه نعمه وأياديه، وأنه لم يخله منها من أول تربيه وابتداء نشئه، ترشيحا لما أراد به، ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه، لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة"[٣٨] .

واليتم كما جاء في كتب اللغة هو"فقدان الأب حين الحاجة"[٣٩] يقول الفيومي[٤٠] في المصباح المنير:" اليتم في الناس من قبل الأب فيقال صغير يتيم والجمع أيتام ويتامى وصغيرة يتيمة وجمعها يتامى ، وفي غير الناس من قبل الأم وأيتمت المرأة إيتاما فهي موتم صار أولادها يتامى فإن مات الأبوان فالصغير لطيم وإن ماتت أمه فقط فهو عجي ودرة يتيمة أي لا نظير لها ومن هنا أطلق اليتيم على كل فرد يعز نظيره"[٤١].

وكلمة الإيواء: في اللغة تدور حول معنى الضم والرعاية يقال: "آوى اللاَّجئَ: أوَاه،

---

(٣٦) سورة الضحي، الآية ٦.

(٣٧) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه، توفي ٥٣٨هـ . انظر:(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٦٨/٥-١٧٤).

(٣٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ، ٧٦٧/٤ .

(٣٩) انظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، دار الهداية، ١٣٤/٣٤.

(٤٠) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: لغويّ، اشتهر بكتابه (المصباح المنير) ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) وتوفي ٧٧٠هـ . انظر : (الأعلام ٢٢٤/١).

(٤١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ، المكتبة العلمية – بيروت، ٦٧٩/٢. كتاب الياء مادة يتم .

أنزله عنده وشمِله رعايته، آوى فلانًا إليه: ضمّه إليه، أسكنه وأنزله مطمئنًّا عنده"[٤٢].

"كما يطلق لفظ الإيواءعلى الكفالة وكفاية الحاجة مجازا أو استعارة "[٤٣] "وقد جاءت مادة (آوَى) في القرآن، أربع عشرة مرة، فيها جميعاً معنى المأمن والحمى والملاذ، إما حقيقة، وإما على سبيل الرجاء" [٤٤]، ولفظ "آوي" في الآية يحمل كل هذه المعاني فقد رعاه ربه وأحاطه وشمله بعنايته " وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل بعد أن ولد – عليه السلام – ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره"[٤٥].

ومعنى الآية كما يقول ابن عاشور– رحمه الله – : "أنشأك على كمال الإدراك والاستقامة وكنت على تربية كاملة مع أن شأن الأيتام أن ينشأوا على نقائص لأنهم لا يجدون من يعنى بتهذيبهم وتعهد أحوالهم الخلقية، فكان تكوين نفسه الزكية على الكمال خيرا من تربية الأبوين"[٤٦].

لقد ولد عليه السلام في رعاية الله– عز وجل –، وتكفل به، ويسر له من يقوم بتربيته والدفاع عنه، فبرغم يتمه فإن الله أحاطه بالإيواء الشامل، فأحبه كل من رآه بدءا بمراضعه ، ومرورا بمن عايشهم في طفولته وشبابه ورجولته، حتى وصل إلى الغاية التي أرادها الله – عز وجل – "ولو تدبر المنصف فى رعاية الله له، وحياطته بحفظه وحسن تنشئته، لوجد من ذلك العجب، فلقد كان اليتم وحده مدعاة إلى المضيعة وفساد الخلق، لقلة من يحفل باليتيم ويحرص عليه، وكان فى خلق أهل مكة وعاداتهم ما فيه الكفاية فى إضلاله لو أنه سار سيرتهم، لكن عناية الله كانت ترعاه، وتمنعه السير على نهجهم، فكان الوفىّ الذي لا يمين، والأمين الذي لا يخون،

(٤٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر ، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ١٤٢/١.

(٤٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٩٩/٣٠.

(٤٤) التفسير البياني، عائشة عبد الرحمن، ١٥٦/١.

(٤٥) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ، ٤١٣/٨.

(٤٦) التحرير والتنوير، ٣٩٩/٣٠.

والصّادق الذي لا يكذب، والطاهر الذي لم يدنّس برجس الجاهلية"(٤٧).

إن اليتم في حد ذاته منقصة للوليد، وبخاصة في مجتمع يفتخر بالأنساب كشأن أهل مكة، فنجده في نشأته بعيدا عن أبيه يعيش منعزلا، لا يحسن معاملة الناس – في أغلب الأحيان –، وينمو ضعيفا في بدنه وسلوكه، لا يتمكن من مواجهة مصاعب الحياة، وإذا وجد مع اليتم الفقر، فإن الصغير يعيش مهملا، لا يهتم به أحد، وإن اهتم به أحد فلتسخيره واستغلاله، فاليتيم غالبا ما يعتريه الذل والإنكسار والقهر، ولكن مع كونه – صلى الله عليه وسلم – يتيما إلا أن الله حفظه ورعاه، وهذا ما توضحه د. عائشة عبد الرحمن(٤٨) حيث تقول :" ولد محمد – عليه السلام – يتيماً، ثم تضاعف يتمه بموت أمه

(٤٧) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ١٨٥/٣٠.

(٤٨) عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ تلقت علوم الإسلام والعربية على مناهج الأزهر الشريف على والدها وزملائه الشيوخ بالمعهد الديني الأزهري بدمياط ، حصلت من جامعة القاهرة على الليسانس الممتازة في اللغة العربية سنة ١٩٣٩م ، ثم الماجستير في الآداب سنة ١٩٤١م ، ثم الدكتوراه في الآداب، سنة ١٩٥٠م، قدمت إلى المكتبة العربية نحو أربعين كتابا. انظر : (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦، ٩٢٤/٣).

وجده، لكنه تعالى نجاه من آثار اليتم التي هي، بشواهد من آيات الكتاب الكريم: الدع والقهر، والإنكسار والجور، مما كان مظنة أن يكسر نفسه، فذلك هو قوله تعالى: ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ ﴾ سُورَةُ ﴾ ترشيحاً بهذا الإيواء الإلهي – غير المقيد بمتعلق – إلى ما بعده من نعمة الهداية بعد حيرة وضلال، وتهيئة لحمل الرسالة الكبرى"(٤٩).

واختيار الله تعالى لنبيه الكريم اليُتم لحِكم بالغة وأهداف سامية، منها، إضافة لما سبق :

أولا : كمال القدوة وشمولها ؛ ليكون عليه السلام قدوة لكل من حرم من أبويه قال تعالى:" ﴿ التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ ﴾ (٥٠).

ليجد فيه اليتيم أسوته وقدوته، فهنيئاً للأيتام تشبههم برسولهم الكريم، وهنيئاً لهم اشتراكهم معه – صلى الله عليه وسلم– في صفةٍ من صفاته وهي اليتم، بل إن اليتيم يكرم لكونه يتيما كرسول الله، يقول الإمام الرازي(٥١)

(٤٩) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ، دار المعارف – القاهرة، الطبعة السابعة، ٤٣/١ .

(٥٠) سورة الأحزاب، من الآية٢١.

(٥١) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه، فخر الدين، أبو عبد الله القرشي البكري التيميّ،

– رحمه الله– :" لقد اختار الله لمحمد – عليه السلام – ليكون يتيما ؛ ليعرف قدر اليتامى فيقوم بحقهم وصلاح أمرهم، ومن ذلك كان يوسف –عليه السلام– لا يشبع فقيل له في ذلك: فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجياع، أيضا ليكون اليتيم مشاركا له في الاسم فيكرم لأجل ذلك"[٥٢]؛ ولهذا ختمت السورة بالوصية باليتيم بقوله تعالى :﴿ يُونِسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ ﴾ [٥٣] "أي: لا تقهره بوجه من وجوه القهر كائنا ما كان، قال مجاهد[٥٤]: لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما، وقيل : لا تسلط عليه بالظلم، ادفع إليه حقه، واذكر يتمك .

وقيل : لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت العرب تفعل في حق اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم"[٥٥]، يقول صاحب (تاريخ نزول القرآن): "إن تذكير الرسول – صلى الله عليه وسلم – بحالة اليتم وإيواء الله له، وهو سيد ولد آدم رفع لمكانة اليتيم فى نظر الناس وأنه لا يجوز لهم أن يضعوه موضع الامتهان، أو أن يحتقروه ولا يتوقعوا منه خيرا وما رآه الناس من هذه النعمة، وما جعل الله على يد رسوله من الرحمة والخير للعالمين يؤكد ذلك" [٥٦] .

وهنا قيمة تربوية هامة يجب التنبيه عليها وهي: أن الاهتمام باليتيم ورعايته والمحافظة على حقه ليس لكونه صغيرا عاجزا عن القيام بمصالحه فحسب ؛ بل هناك ضرورة مجتمعية هامة وهي " أن عدم رعايته سيؤدي إلى شيوع الفاحشة في الأمة ذلك لأن اليتيم

المفسّر، المتكلم إمام وقته ، صاحب المصنفات المشهورة، ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل سنة ثلاث، وهو من تلامذة البغوي، كانت وفاته بهراة في يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة . انظر: (طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي ، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢/٢١٥–٢١٨ باختصار) .

(٥٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ، ٣١/٢٠٠ بتصرف.

(٥٣) سورة الضحى الآية ٩.

(٥٤) مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي المكي المقرئ المفسر أحد الأعلام ، قرأ على ابن عباس، وروى عن عائشة وأبي هريرة، ، وجماعة من الصحابة – رضي الله عنهم ، توفي سنة ثلاث ومائة وقد نيف على الثمانين . انظر: (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م، صـ٣٧ باختصار) .

(٥٥) فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ ٥/٥٥٩.

(٥٦) تاريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد، صـ ١٥٣.

إنسان فقد العائل والنصير منذ صغره، فإذا نشأ في بيئة ترعاه وتكرمه وتعوضه عما فقده من عطف أبيه، شب محبا لمن حوله وللمجتمع الذي يعيش فيه ، وإذا نشأ في بيئة تقهره وتذله وتظلمه نظر إلى من حوله وإلى المجتمع كله نظرة العدو إلى عدوه، وصار من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون لأنه سيقول لنفسه: إذا كان الناس لم يحسنوا إليَّ فلماذا أحسن إليهم؟ وإذا كانوا قد حرموني حقي الذي منحه الله لي، فلماذا أعطيهم شيئا من خيرى وبرى؟لهذا حثنا الإسلام وأمرنا برعاية اليتيم وإكرامه وصيانة حقوقه من أى اعتداء أو ظلم"[٥٧] .

وقد ورد في الوصية باليتيم أحاديث منها: قوله صلى الله عليه وسلم: " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" وقال بإصبعيه السبابة والوسطى" [٥٨].

قال ابن حجر[٥٩] – رحمه الله – :" حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي – صلى الله عليه وسلم – في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.. ولعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي أو منزلة النبي لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومعلما ومرشدا وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك".[٦٠]

أيضا " من عمد إلى كفالته –أي اليتيم– فإنما ذلك عمل يعمله عن الله تعالى، لا عن نفسه، كما أن الرسل –عليهم السلام– يعملون عن الله تعالى، يؤدون عنه حججه إلى خلقه، وبيانه، وهدايته، والذي يكفل اليتيم يؤدي عن الله تعالى ما تكفل به، فلذلك صار بالقرب

---

(٥٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى، ٦٢/٣، بتصرف .

(٥٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، ٩/٨، ح(٦٠٠٥). من حديث سهل بن سعد .

(٥٩) قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد، ، شيخ الإسلام، حافظ العصر، أمير المؤمنين في الحديث، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، انتهت إليه رئاسة علم الحديث من أيام شبيبته بلا مدافعة، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . انظر:(المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين ، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٧/٢-٢٣ باختصار) .

(٦٠) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٠/ ٤٣٦ – ٤٣٧، باختصار .

في الدرجة في ذلك الموقف، وليس في الجنة بقعة أروح ولا أطيب ولا أنور ولا آمن من البقعة التي يكون بها الرسل –عليهم السلام، فإذا نال كافل اليتيم القرب من تلك البقعة سعد جده، وأما سائر الأعمال سوى الجهاد، يعمله العمال عن أنفسهم، والجهاد فيه ذب عن الدين، وإعلاء كلمة الله، فهم على أثر الأنبياء –عليهم السلام– يومئذ بالقرب منهم".(٦١)

وخلاصة القول : أن على كل يتيم أن يعلم أن الله اختار له ما اختاره لأحب الخلق إليه، وقدَّر عليه ما قدَّره على نبيه، فعليه أن يشمر عن سواعد الجد كما شمَّر النبي، ويتزين بزي الأخلاق والتقوى الذي كان زيه ورداءه صلى الله عليه وسلم.

ثانيا : في يتمه –صلى الله عليه وسلم – قدوة للشباب فلا يقتصر الاقتداء بالنبي – عليه السلام – علي اليتيم فحسب ؛ بل في يتمه – عليه السلام – قدوة لكل الشباب المسلم ليضعوا نصب أعينهم كيف ليتيم أن تكون شخصيته أعظم شخصية في هذا الكون، وكيف ليتيم أن يكون له عظيم الأثر، وأن يغير مجرى التاريخ بأكمله .

وقد تتبعت شخصيات كان لها أثر عظيم في مجالات عدة فوجدتهم تربوا أيتاما حرموا من أبيهم في صغرهم، ومن هؤلاء من صارت أسماؤهم تذكر في القرون المتتابعة بعدهم، ولم يحل يتمهم من نيلهم تلك المقامات العالية والدرجات المتقدمة في حياتهم وبعد مماتهم.

من هؤلاء الشخصيات:

- أبو هريرة(٦٢) – رضي الله عنه – والذي يخبر عن نفسه فيقول: "نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني وعُقبة رجلي، أحدو بهم إذا ركِبوا، وأحتطب

(٦١) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، كمال الدين عبد الغني المرسي، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، صـ ١١٥.

(٦٢) صاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، قال عن نفسه : كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسميت في الإسلام عبد الرحمن، وإنما كنيت بأبي هريرة، لأني وجدت هرة فجعلتها في كمي، فقيل لي: ما هذه؟ قلت: هرة ، قيل: فأنت أبو هريرة، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، وكان يدور معه حيث دار، توفي سنة تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين . انظر: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ١٧٦٨/٤–١٧٧٢، باختصار) .

إذا نزَلوا ، فالحمد لله الذي جعل الدين قِواماً، وجعل أبا هريرة إماماً"[٦٣] .

- الزبير بن العوام – رضي الله عنه – الذي عدله عمر – رضي الله عنه – بألف فارس ، كان ناتج تربية أمه صفية – رضي الله عنها – بعد أن مات أبوه وهو صغير، فعن عروة ابن الزبير[٦٤]، أن الزبير كان طويلاً تخُط رجلاه الأرض إذا ركب الدابة، أَشْعَر، وكانت أمه صفية تضربه ضرباً شديداً وهو يتيم، فقيل لها: قتلتِه، أهلكتِه! قالت : إنما أضربه لكي يلب[٦٥] *** ويَجُرَّ الجيش ذا الجلب[٦٦] "[٦٧]

- الإمام البخاري صاحب (صحيح البخاري) "والذي نشأ يتيما وتربي في حجر أمه، وكان يمتاز بالإقبال علي العلم والجد في تحصيله، وكان ينام فتأتيه الخاطرة فيقوم يشعل السراج، ثم يكتب الخاطرة، ثم ينام لكي يستيقظ مرة أخرى ليكتب الخاطرة من جديد "[٦٨].

- الإمام الشافعي أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الشافعي " والذي نشأ يتيما فى حجر أمه فى قلة عيش وضيق حال، وكان فى صباه يجالس العلماء، ويكتب ما يستفيده فى العظام

(٦٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (سنن ابن ماجه ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي)، ٨١٧/٢، ح(٢٤٤٥) ، إسناده صحيح موقوف.

(٦٤) عروة بن الزبير بن العوام القرشي أخو عبد الله بن الزبير أمهما أسماء بنت أبى بكر الصديق من فقهاء المدينة وأفاضل التابعين، توفى سنة تسع وتسعين . انظر: (مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ، حققه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، صـ ١٠٥.)

(٦٥) يلب من اللب وهو العقل، غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المحقق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧، ١٥٧/٢.

(٦٦) الجلب: جمع جلبة وهي أصوات ويقال: قد جلب على فرسه يجلب جلبا اذا صاح به من خلفه ليسبق غريب الحديث لابن قتيبة، ١٥٧/٢.

(٦٧) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي , دار الحديث– القاهرة , ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ٣٤/٣.

(٦٨) الأعلام للزركلي، ٣٤/٦ وما بعدها .

ونحوها؛ لعجزه عن الورق، حتى ملأ منها حبابًا "[٦٩]

- الإمام أحمد بن حنبل"[٧٠] وهو أيضا أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي، وصاحب المسند الذي ألفه في الحديث .

وغيرهم كثيرون ممن كان لهم المقام الأعلى والأثر الأعظم، فبرغم يتمهم وعدم وجود الأب الذي هو مصدر التوجيه والإرشاد أناروا الدنيا بالعلم والفهم، ولم يكن اليتم عائقاً لهم عن النهوض، بل ربما كان دافعاً لهم ؛ فهؤلاء اتخذوا من رسولهم القدوة والعزيمة فصاروا بحق مثلا يحتذى به في كل العصور والأزمان .

ومن هنا علينا أن ندرك حقيقة هامة هي : إن كان لوجود الآباء أهمية كبرى في حياة الأبناء، ولكن ليس هذا شرطاً كي تتواصل الحياة، وكذا لا يمثل غيابه عن مسرح الحياة عائقاً أو مثبطا، بل ربما يتحول ذلك إلى قوة دافعة، وهمة عالية، واعتماد على الذات، وتحقيق للآمال والأحلام .

وهذا درس عظيم لنا جميعاً لندرك حكمة الله تعالى ونرضى بقضائه ؛ فلا تتوقف الحياة بموت الأب أو الأم، وحتى لا تتحول حياة الأبناء إلى كتلة من الأحزان واليأس والجمود، لابد من مواصلة هذه الحياة والسعي إلى تحقيق النجاح والاعتماد على الله تعالى أولا ثم على النفس، ولنكن على يقين أن اختيار الله لعبده دائما أفضل من إختيار العبد لنفسه .

ثالثا : من الحكم أيضا في نشأته – صلى الله عليه وسلم يتيما – أن الله – عز وجل – أراد أن ينشأ رسوله محاطا برعايته الإلهية منذ اللحظة الأولى، حتى لا يكون اعتماده على أبويه، وحتى لا يتوهم البعض أن خيرات الله له كانت بسبب أبيه أو أمه، أو أنه أخذ تعاليم النبوة منهم، بل هي من فضل الله عليه ابتداء، وهذا ما وضحه الإمام الرازي – رحمه الله – حيث قال :" إن من كان له أب أو أم كان اعتماده عليهما، فسلب عنه الوالدان حتى لا يعتمد من أول صباه إلى آخر عمره على أحد سوى الله، فيصير في طفوليته متشبها بإبراهيم – عليه السلام – في قوله: حسبي من سؤالي، علمه بحالي، وكجواب مريم : أنى لك هذا قالت هو من عند الله، وليعلم كل أحد أن فضيلته من الله ابتداء لأن الذي له أب، فإن أباه يسعى في تعليمه وتأديبه "[٧١] .

([٦٩]) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٤٦/١.

([٧٠]) انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ١٧٧/١١-١٧٩.

([٧١]) مفاتيح الغيب للرازي، ٣١ /٢٠٠، بتصرف.

والآباء دائما يحاولون غرس قيمهم وعاداتهم في أبنائهم، والابن بدوره يحاول أن يقلد أباه، ويجتهد في حمل فكره ومذهبه، ولكن رسول الله كان بمنأى عن كل هذا .

ولقد كان كفار مكة يفترون على النبي – عليه السلام – ويتهمونه بأن ما جاءه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، يقول عز من قائل حاكيا عنهم افتراءهم : ﴿ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ [٧٢] "فقد بحثوا عن شخص له صلة برسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليزعموا أنه مؤلف الوحي، وأن محمدا يأخذ منه، وقد بيَّن الله كذبهم وضلالهم فيما يزعمون، ولو كان عبد الله والد النبي حيا لسهل عليهم ادعاؤهم أنه المعلم لولده، وأن الوحي من كلامه وتأليفه.. لكن الله تعالى قطع عنهم هذا الطريق بوفاة عبد الله، وميلاد محمد بعد وفاته" [٧٣] .

يقول الإمام محمد رمضان البوطي في كتابه "فقه السيرة النبوية" : "لقد اختار الله – عز وجل – لنبيه هذه النشأة لحكم باهرة، لعل من أهمها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة في القلوب أو إيهام الناس بأن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم إنما رضع لبان دعوته ورسالته التي نادى بها منذ صباه، بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده. هكذا أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيما، تتولاه عناية الله وحدها، بعيدا عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني"[٧٤].

رابعا: "في ولادته – صلى الله عليه وسلم– يتيما تأكيد لحقيقة غائبة عن الكثير من الناس، وهي أن الأمور كلها بقدرة الله تعالى، وليس للإنسان في عمله إلا الكسب والميل، والله خالق كل شيء، ولو عقل الناس لعاشوا مؤمنين حقا، عن اقتناع ورضى، ولسلموا بقدر الله – عز وجل– .... إن النظر في قضايا كثيرة في الكون لا يعلم الإنسان غايتها تدفعه إلى التسليم بقدرة الله تعالى، وحين نقارن محمدا – صلى الله عليه وسلم – بسائر الناس مع إدراك يتمه وفقره، نتأكد أنه صناعة قدرية

([٧٢]) سورة الفرقان الآيتان ٤–٥.

([٧٣]) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م، صـ ١٧٨.

([٧٤]) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، الطبعة الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ، صـ ٤٦ ، بتصرف .

ربانية، وأن العناية الإلهية هي التي أحاطت بمحمد – صلى الله عليه وسلم – من كافة جوانب حياته "[٧٥].

المبحث الثاني: البيئة التي نشأ فيها النبي - صلى الله عليه وسلم

لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن ينشأ النبي في شبه جزيرة العرب التي انتشرت فيها عبادة الأصنام والأوثان، والإيمان بالخرافات والجهالات، كما انتشرت فيها الأخلاق الوضيعة والعادات السيئة مثل: الزنا، وشرب الخمر، والتجرؤ على القتل وسفك الدماء وقتل الأبناء ووأد البنات خوفا من الفقر أو العار.

كما كان يسود التعصب القبلي الشديد الذي يدفع صاحبه إلى مناصرة أهل قبيلته بالحق أو الباطل، والتفاخر بالأحساب والأنساب، والحرص على الشرف والمكانة والسمعة الذي كان كثيرا ما يفضي إلى حروب ومعارك بين القبائل تستمر لسنوات عدة، تسفك فيها الدماء، وتنتهك فيها الأعراض على الرغم من تفاهة الأسباب التي اشتعلت بسببها تلك الحروب.

وبالرغم من نشأة النبي الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – في هذه الأجواء الجاهلية فإنه منذ صغره لم يتلوث بأي من هذه الوثنيات والعادات المنحرفة، ولم ينخرط مع أهل قبيلته في غيهم وظلمهم، بل حفظه الله من الوقوع في ذلك منذ نعومة أظفاره.

يقول ابن الخطيب[٧٦]– رحمه الله– في كتابه " أوضح التفاسير " : " نشأ – عليه السلام – في عصر تفشت فيه عبادة الأوثان، وانتشرت فيه اليهودية والنصرانية؛ ورأى بعينه ما في هذه الأديان من أباطيل، وما يستمسكون به من أضاليل؛ فحماه الله تعالى من الوقوع في براثن الوثنية، وعصمه من السقوط في وهاد اليهودية والنصرانية, ورغماً عن ذلك فقد كان أهله وعشيرته – عن آخرهم – يعبدون الأصنام؛ وجدير بمن نشأ في عصر كله ضلال أن يكون ضالاً؛ لولا أن أغاثه مولاه بعنايته، وأدركه بلطفه وهدايته"[٧٧] .

وهذه المنة أشار إليها –عز وجل– في قوله ﴿ ٱلْبَقَرَةَ ءَالَ عِمْرَٰنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [٧٨] "وللمفسرين في معنى هذه الآية كلام طويل،

([٧٥]) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، صـ ١٧٨–١٧٩، بتصرف .

([٧٦]) محمد محمد عبد اللطيف، يعرف بابن الخطيب، كاتب مصرى، من مؤلفاته: الفرقان، وحقائق ثابتة فى الإسلام . انظر ترجمته في: (هامش كتاب كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، الطبعة: الأولى / ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، صـ١٠٧٣.

([٧٧]) أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م، صـ ٧٥٣ .

([٧٨]) سورة الضحى، الآية ٧ .

أصحها أن المراد بالضلال هنا الحيرة في الوصول إلى الحق، والغفلة عما أوحاه الله- تعالى- إليه بعد ذلك من قرآن كريم، ومن تشريعات حكيمة.. مع اعتقاده - صلى الله عليه وسلم- قبل النبوة أن قومه ليسوا على الدين الحق، بدليل أنه لم يشاركهم في عبادتهم للأصنام، ولا في السلوك الذي يتنافى من مكارم الأخلاق ، يقول الإمام الشيخ محمد عبده[٧٩]- رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية ما ملخصه: " نشأ صلى الله عليه وسلم موحدا، لم يسجد لصنم، وطاهر الخلق، لم يرتكب فاحشة، حتى عرف بين قومه بالصادق الأمين، فضلال الشرك، وضلال الهوى في العمل، كانا بعيدين عن ذاته الكريمة"[٨٠]

إن الله تعالى قد حفظ نبيه - صلى الله عليه وسلم - من الشرك وعبادة الأصنام، ويدل على ذلك ما رواه هشام بن عروة [٨١] عن أبيه قال: حدثني جار لخديجة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخديجة: " أَيْ خَدِيجَةُ وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ أَبَدًا وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا"[٨٢] فهذا يدل على سلامة فطرة النبي -عليه السلام- وأنه ما سجد لصنم ولا شرب خمرا ولا شارك في أي معتقد من معتقداتهم .

يقول الإمام أبو بكر الجزائري[٨٣] : " كان - صلى الله عليه وسلم - محفوظا بحفظ

---

(٧٩) من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي، ومفتي الديار المصرية، أنشأ جيلا من العلماء حذا حذوه في التفسير، على رأسه محمد رشيد رضا ومصطفى المراغي، من آثاره "تفسير جزء عم"، ونسب إليه تفسير القرآن، وهو لمحمد رشيد رضا . انظر: (معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ٥٦٦/٢- ٥٦٧، باختصار) .

(٨٠) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى ، ٤٢٩/١٥-٤٣٠ .

(٨١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو المنذر، تابعي، من أئمة الحديث ، من علماء المدينة ولد وعاش فيها، وتوفي ١٤٦هـ. انظر: (الأعلام للزركلي، ٨٦/٨-٨٧).

(٨٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، ٤٦٧/٢٩ ح (١٧٩٤٧) وقال المحققون : اسناده صحيح .

(٨٣) مفسر داعية معاصر غلبت عليه الكنية فعرف بأبي بكر الجزائري ولد بقرية في الجنوب الجزائري سنة أربعين وثلاثمائة وألف، استمر في تدريس التفسير في المسجد النبوي طيلة خمس وأربعين سنة، من أشهر مؤلفاته :أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير .ووضع له حاشية سماها(نهر الخير) طبعت بهامشه، انظر: (التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن

الله تعالى له فلم يسجد لصنم ولم يشرب خمرا ولم يقل أو يفعل إثما قط"[٨٤]

وهنا لابد لنا أن نقف على قيمة تربوية هامة وهي: أن البيئة لها أهمية كبرى في التربية، فالبيئة الصالحة يكون النشأ فيها صالحا، والبيئة الفاسدة يكون النشأ فيها فاسدا وهذا ما وضحه عباس محجوب في كتابه "بيئات التربية الإسلامية " حيث يقول :"إن الإنسان إذا نشأ في بيئة صالحة، وأسرة متدينة ومدرسة راقية ورفقة صالحة وأمة خيرة ونظام سياسي عادل وتربية ممتازة كان الشخص المثالي الذي تهدف التربية إلى إيجاده، أما إذا وجد في بيئة سيئة، أسرة منحلة ورفقة سيئة وأمة شريرة ونظام سياسي جائر وحاكم طاغ متجبر وأنظمة بشرية فاشلة وتربية لا تقوم على أساس فإن النتائج أفراد فاشلون وذلك مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله ﴾[٨٥]"[٨٦].

إلا أن الفطرة السليمة أظهرت أنه لا فرق بالنسبة للإنسان المولود عليها إن كان في بيئة صالحة أو فاسدة طالما أن الله قد تفضل عليه بنعمة العقل والتفكير الصحيح الذي يقوده إلى الحق، ولقد ضرب القرآن الكريم لنا أعظم الأمثلة على ذلك التي توضح أن الإنسان في أي بيئة نشأ إذا استخدم تفكيره الاستخدام الصحيح فبإمكانه التوصل إلى الحقيقة ونبذ الباطل وهجر أهله .

من هذه الأمثلة بالإضافة إلى خاتم المرسلين سيدنا محمد – عليه السلام – سيدنا ابراهيم – عليه السلام –الذي نشأ في قوم يعبدون الأصنام ففكر في خلق السموات والأرض إلى أن توصل للإيمان الحق فهجر قومه وعبادتهم .

سيدنا موسي – عليه الصلاة والسلام – تربي في حجر فرعون الذي كان يعد نفسه الها لقومه ومع ذلك فكر بصدق وحزم فكفر بهذا الإله المزعوم وهجر قصره مع ما كان فيه من رغد العيش وحياة الترف وارتضى لنفسه

طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ، صـ ٢٠١- ٢٠٢، باختصار).

(٨٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٥٨٨/٥ .

(٨٥) سورة الأعراف من الآية ٥٨.

(٨٦) بيئات التربية الإسلامية، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤٠٠هـ، صـ ١١٩.

حياة الرعي والقسوة بدلا عنها حتى اختاره لله ليكون نبيه المختار.

والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم وكلها تدل على أن العقيدة السليمة في قلب كل منا منذ ولادته وهذا ما أشار إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الذي يرويه عنه أبو هريرة – رضي الله عنه– :" ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة[٨٧] جمعاء[٨٨]، هل تحسون فيها من جدعاء[٨٩]"[٩٠] ثم يقول أبو هريرة – رضي الله عنه – : " فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا[٩١]"

قال ابن حجر– رحمه الله– :" إن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام هو الدين الحق"[٩٢].

وينبغي أن نعلم أن الهداية والضلال من الله، ومهما بلغ المرء درجات التقوى والصلاح فإنه معرض للفتنة والانحراف واتباع الشهوات ولا عاصم له من هذا كله سوى رحمة الله تعالى التي تتدخل في اللحظات الحاسمة لكي تبعد عنه السوء والفحشاء وتفادي السقوط فيهما، وقد يبلغ درجات الفساد ثم يهديه الله – عز وجل – وصدق الله حيث يقول مخاطبا نبيه :﴿ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ ﴾ [٩٣] فكل بيد الله سبحانه تعالى فهو – جل جلاله– أعلم بمن

---

(٨٧) أي كما تلد البهيمة بهيمة (انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج , أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢، ٢٠٩/١٦).

(٨٨) مجتمعة الأعضاء سليمة من نقص . (المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي ٢٠٩/١٦).

(٨٩) مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء. (المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي، ٢٠٩/١٦).

(٩٠) والمعنى : أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة فلو ترك كذلك كان بريئا من العيب لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلا فخرج عن الأصل.انظر: (فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢٤٩/٣).

(٩١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ٩٤/٢.ح(١٣٥٨) ، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٤٧/٤، ح(٢٦٥٨).

(٩٢) فتح الباري، ٢٤٩/٣ .

(٩٣) سورة القصص الآية ٥٦.

يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله.

وهذه النعمة من الله –عز وجل– على نبيه قد أشار اليها أيضا في سورة الشرح بقوله عز من قائل : "﴿ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ ﴾ [٩٤] فلقد أشارت الآية إلى انشراح قلبه –صلى الله عليه وسلم – لكل ما هو من الفضائل ومكارم الأخلاق.

وأصل كلمة الشرح : البسط والتوضيح يقول الراغب الأصفهاني[٩٥]: "أصل الشَّرْحِ : بسط اللّحم ونحوه، وشرح المشكل من الكلام: بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه، ومنه: شَرْحُ الصّدر أي: بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه" [٩٦].

ونستفيد من هذا المعنى اللغوي أن "شرح الصدر يشمل الشق البدني لصدره – صلى الله عليه وسلم – كما يشمل الشرح المعنوي لصدره – عليه السلام – عن طريق إيداعه الإيمان والهدى والعلم والفضائل "[٩٧].

فكأن – جل جلاله – حصن رسوله المصطفى من الضلال بحصانة معنوية حيث الإلهام واليقين بأن ما عليه قومه باطل، والحصانة الحسية والتي تمثلت في شق الصدر ؛ ليعيش طاهر الظاهر والباطن بحفظ الله وتوفيقه .

يقول الإمام المراغي – رحمه الله – :"إنا شرحنا لك صدرك، فأخرجناك من الحيرة التي كنت تضيق بها ذرعا، بما كنت تلاقى من عناد قومك واستكبارهم عن اتباع الحق، وكنت تتلمس الطريق لهدايتهم، فهديت إلى الوسيلة التي تنقذهم بها من التهلكة، وتجنبهم الردى الذي كانوا مشرفين عليه.

وقصارى ذلك– إنا أذهبنا عن نفسك جميع الهموم حتى لا تقلق ولا تضجر، وجعلناك راضى النفس، مطمئنّ الخاطر، واثقا من تأييد الله ونصره، عالما كل العلم أن الذي أرسلك لا يخذلك، ولا يعين عليك عدوا"[٩٨] .

([٩٤]) سورة الشرح الآيات ١–٤ .

([٩٥]) الحسن بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهانى المعروف بالراغب أديب من الحكماء والعلماء من كتبه: الذريعة إلى مكارم الشريعة والأخلاق، المفردات فى غريب القرآن توفى سنة ٥٠٢هـ – ١١٠٨م،انظر: (الأعلام للزركلي، ٢٥٥/٢).

([٩٦]) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، صـ ٤٤٩ بتصرف .

([٩٧]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٥ /٤٣٦.

([٩٨]) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ١٨٩/٣٠.

ولقد كانت حادثة شق قلبه – صلى الله عليه وسلم – لمن دلائل اختيار الله إياه لأمر جليل وتجهيزه له، وعن هذه المعجزة يقول أنس بن مالك [٩٩]– رضي الله عنه– "أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتاه جبريل – صلى الله عليه وسلم– وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست[١٠٠] من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره[١٠١] – فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون[١٠٢] "، قال أنس: "وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط[١٠٣] في صدره"[١٠٤].

وبشق صدره – صلى الله عليه وسلم – طهر قلبه من وساوس الشيطان ومن ثم حصل له الأمن، وانشرح صدره، وأصبح متهيئا للرسالة وتحمل مشاقها .

وهذا ما وضحه الإمام الزرقاني[١٠٥] في معرض حديثه عن علة تخصيص الشرح بالصدر دون القلب ، يقول رحمه الله :" القلب محل العقل والمعرفة، وهو الذي يقصده الشيطان، يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فإذا دخل مسلكًا أغار فيه، وأنزل جنده فيه، وبث فيه الهموم والغموم والحرص، فيضيق القلب حينئذ، ولا يجد للطاعة لذة، ولا للإسلام حلاوة، وإذا طرد العدو في الابتداء حصل الأمن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسَّر له القيام بأداء العبودية"[١٠٦].

([٩٩]) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار خادم النبي صلى الله عليه وسلم، نزل المدينة ثم تحول إلى البصرة وكان يأتي الشام ومات بالبصرة رحمه الله. انظر: (معجم الصحابة للبغوي، ٤٣/١).

([١٠٠]) بفتح الطاء وإسكان السين المهملتين وهي إناء معروف . (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٣٩٢، ٢١٦/٢ .

([١٠١]) بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة وهي المرضعة .(شرح النووي ٢١٧/٢).

([١٠٢]) تغير من حزن أو فزع (شرح النووي ٢١٧/٢).

([١٠٣]) الإبرة (شرح النووي ٢١٧/٢) .

([١٠٤]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات ، ١٤٧/١ ، ح (١٦٢).

([١٠٥]) محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث ، وتوفي بالقاهرة ، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن. انظر: (الأعلام للزركلي، ٢١٠/٦).

([١٠٦]) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد

لقد صارت أوقات النبي – صلى الله عليه وسلم – وبالرغم من وجوده في تلك البيئة المحاطة بكل أنواع اللهو والفساد– صارت تمضى في التأمل والصمت، وعرف وجهه لون الجد العذب والحكمة التي تميز الرجال .

تقول الدكتورة رقية بنت نصر الله : " عاش محمد –صلى الله عليه وسلم– طفولته وشبابه قبل البعثة، لكنها لم تكن حياة عادية كحياة كل الأطفال والشباب في ذلك الحين؛ لأنها حياة تميزت بالمثالية التامة، فكان طرازاً رفيعاً في الفطرة الصافية، والفكر الصائب، والفطنة الأصيلة، فعايش الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجده حسناً شارك فيه، وإلا التزم عزلته وصمته، لهذا عرف في قومه بالخلال العذبة، والأخلاق الفاضلة، والشمائل الكريمة، فكان لا يشرب خمراً، ولا يعبد وثناً، وكان أصدقهم حديثاً، وأفضلهم مروءة، وأعظمهم حلماً، وأوفاهم عهداً وآمنهم أمانة يحمل الكَلَّ، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، كيف لا يكون كذلك والله سبحانه هو الذي تولاه بالرعاية والحفظ" [١٠٧] .

وظل هذا شأنه حتى جاءه وحي الله فازداد قلبه سكينه، ونفسه اطمئنانا، صلوات الله وسلامه عليه " ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾ [١٠٨]

المبحث الثالث : نشأته – عليه الصلاة والسلام - فقيرا .

هذه هي المنة الثالثة على النبي – عليه السلام – وهي نعمة إغنائه بعد أن كان عائلا .

قال عز من قائل : ﴿ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ ﴾ [١٠٩] ولو نظرنا نظرة إمعان وتدقيق لوجدنا أن ذكر هذه النعمة في المرتبة الثالثة لأمر طبيعي ؛ لأن "هذا هو الترتيب الطبيعي في الحياة، اليتم يقال لمن فقد والديه أو احدهما وهو دون سن البلوغ فإذا بلغ انتفت عنه صفة اليتم، وإذا بلغ دخل في سن التكليف الشرعي فهو يحتاج إلى الهداية ليتعلم كيف يسير في الحياة قبل أن يكون فقيراً أو غنياً وكيف يجمع المال الحلال لأن كل مال جمع

الزرقاني المالكي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٥/٤٧٣-٤٧٤.

(١٠٧) السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والمرتبة والبيان والعمل، رقية بنت نصر الله نياز، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، صـ ٤٢

(١٠٨) سورة الشوري الآية ٥٢.

(١٠٩) سورة الضحى الآية ٨.

من غير طريق الهداية هو سحت، ثم تأتي العيلة وهي أمر آخر بعد البلوغ؛ من الناس من يكون فقيراً أو غنياً وعلى الاثنين أن يسيرا وفق التعاليم التي تعلماها بعد البلوغ مباشرة وهذا طبيعي ويمر به كل الخلق فهذا هو التسلسل الطبيعي في الحياة، لذا فقد بدأ سبحانه بالحالة الأولى (اليتم) ثم إذا بلغ تأتي الهداية في المرتبة الثانية، وثالثاً العائل والغني يجب أن يسيرا على الهداية"[١١٠].

والعائل من العيل بمعنى الفقر يقول الإمام الراغب – رحمه الله– :" عال الرجل: إذا افتقر يعيل عيلة فهو عائل"[١١١] وفي التحرير"العائل" الذي لا مال له، والفقر يسمى عيلة، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾[١١٢] وقد أغناه الله غناءين: أعظمهما غنى القلب إذ ألقى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا، وغنى المال حين ألهم خديجة مقارضته في تجارتها." [١١٣] أى: "لقد كنت– أيها الرسول الكريم– فقيرا، حيث مات أبوك دون أن يترك لك مالا كثيرا، ونشأت في كنف جدك ثم عمك، وأنت على هذه الحال. ثم أغناك الله– تعالى– بفضله وكرمه بنوعين من الغنى: أما أولهما– وهو الأعظم–: فهو غنى النفس، بأن منحك نفسا عفيفة قانعة بما أعطاك– سبحانه– من رزق، حتى ولو كان كفافا.

وأما ثانيهما: فهو الغنى المادي عن الاحتياج إلى الناس، بما أجراه على يديك من الربح في التجارة، وبما وهبتك زوجك خديجة من مالها، فعشت مستور الحال، غير محتاج إلى من ينفق عليك"[١١٤].

ولكن ما الحكمة من كون النبي فقيرا في بادئ الأمر ثم إغنائه ؟

والجواب أن لهذا الأمر حكما بالغة وغايات سامية منها :

أولا : إن وجود الأنبياء في حال التجرّد عن الدنيا ومشاغلها أمر لا بد منه، لأنهم لو وجدوا أغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية، ولذلك ترى جميع الشرائع الإلهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها، وحال الأنبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك، فكان عيسى –عليه الصلاة والسلام– أزهد الناس في الدنيا، وكذلك كان موسى

(١١٠) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائ، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، صـ ٤١٧.

(١١١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني صـ ٥٩٧، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ٧٩/٣٠، مادة عيل.

(١١٢) سورة التوبة من الآية ٢٨.

(١١٣) التحرير والتنوير ، ٤٠٠/٣٠.

(١١٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٤٣١/١٥.

وابراهيم عليهما السلام، وكانت حالتهم في صغرهم ليست سعة بل كلهم سواء، تلك حكمة بالغة أظهرها الله على أنبيائه ليكونوا نموذجا لمتّبعيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها، وذلك سبب البلايا والمحن"[١١٥].

ثانيا : لقد كان من اليسير على المولى عز وجل – وهو القادر على كل شيء – أن يهيئ للنبي– صلى الله عليه وسلم – من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعيا وراء القوت ؛ "ولكن الحكمة الإلهية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكدّ يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه، وشر المال– وان كان الأمر ليس على إطلاقه – ما أصابه الإنسان وهو مستلق على ظهره دون أن يرى أي تعب في سبيله، ودون أن يبذل أي فائدة للمجتمع في مقابله"[١١٦].

فبتلك النشأة الربانية للرسول – صلى الله عليه وسلم – ؛ يعلم الله عباده قيمة العمل وعدم الإستهانة به؛ فالعمل وسيلة لكسب الرزق من كد أيديهم، وهو خير لهم من السؤال، كما أنه وسيلة لكسب الخبرة، وشغل الوقت بما ينفعهم في حياتهم اليومية قال – عليه السلام –: "ما أكل أحدٌ طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود –عليه السلام–، كان يأكل من عمل يده"[١١٧].

فطلب الرزق خير من الجلوس بلا عمل ، ولأن يعمل المرء في حرفة ولو كانت يسيرة فهي خير له من الكسل والبطالة، أو أن يكون عالة على أبيه وإخوانه، مع التوكل على الله ، والأخذ بالأسباب ، والحرص على الإخلاص ، وإتقان العمل ليبارك له الله في رزقه .

ولنا في صحابة رسول الله قدوة حسنة فلقد كان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق، والأنصار يعملون في مزارعهم، وما أحسن عبارة عبد الرحمن بن عوف[١١٨]–

([١١٥]) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، دار الفيحاء – دمشق، الطبعة الثانية – ١٤٢٥ هـ، صـ ١٨.

([١١٦]) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محّمد سَعيد رَمضان البوطي ، صـ٥٠، بتصرف يسير.

([١١٧]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب: البيوع باب: كسب الرجل وعمله بيده ، ٥٧/٣، ح (٢٠٧٢) من حديث المقدام – رضي الله عنه – .

([١١٨]) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي، صحابي، من أكابرهم ، وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، توفي ٣٢هـ بالمدينة، (انظر : الأعلام للزركلي، ٣٢١/٣، باختصار) .

رضي الله عنه –"دلوني على السوق"[١١٩]و قالت أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–: "كان أصحاب رسول الله " عمال أنفسهم "[١٢٠].

ثالثا : إن في إغنائه – صلوات الله عليه وسلامه – تهيئة لتلقي رسالة ربه " فكما هو معروف فإن الفقر مظنة الذل والعوز وقد أغنى الله – عز وجل – رسوله بالتعفف وسد الحاجة، فلم يذله فقر المال، كما لم يكسر اليتم نفسه، بل وقاه الله وقاية نفسية معنوية من آثار اليتم والفقر والضلال، وسلم جوهرهُ من الآفات التي كان معرضاً لها بحكم يتمه وعيلته، وبذلك تم فيه الاستعداد النفسي لتلقي الرسالة الكبرى.

لذلك استعمل في الآيات الثلاث، الفعل {وَجَدَ} وهو من أفعال القلوب ولم يقل مثلاً: أما كنت يتيماً، وكنت عائلاً، فسيطر الجو المعنوي النفسي على الموقف، وتهيأت للرسول الطمأنينة الوجدانية لتلقى الآيات الكريمة"[١٢١].

رابعا : في نشأته – صلى الله عليه وسلم – فقيرا تربية من الله –عز وجل– لنبيه ، وتعليم له مكارم الأخلاق، والفضائل العالية، فكما سبق وتعلم – صلى الله عليه وسلم – من كونه يتيما ، ومن ايواء الله له كيف يؤوي اليتامى ويحن عليهم، وتعلم من هداية الله له بعد أن كان حائرا ، كيف يكون هاديا لأمته ، مرشدا لهم، تعلم أيضا من إغناء الله له بعد أن كان فقيرا كيف يكون عطوفا على الفقير، كثير الإنفاق مما آتاه الله، ولا يخاف من ذي العرش إقلالا.

وهذا ما وضحه الشيخ أحمد حطيبة حيث يقول :" هذه التربية من الله –عز وجل– للنبي –صلى الله عليه وسلم–، فهو يقول له: إن ربك وجدك يتيماً فآواك، فكن كذلك مع الأيتام، فآوهم وتحنن عليهم، واربت على ظهورهم، وأعطهم من المال، وبش لهم، ولا تجعلهم في بؤس وضيق، وكن لهم بمثابة الوالد صلوات الله وسلامه عليه، فعلمه من صغره، فما عانيت منه فأعن غيرك عليه إذا كان موجوداً فيه، فكان أرحم الخلق بالخلق صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ ٱلْبَقَرَةَ آلِ عِمْرَانَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ، أي: كما هداك الله –والمنة له وحده– فاهدِ

---

(١١٩) أخرجه الإمام البخاري كتاب البيوع ، باب ما جاء في قول الله تعالى "إذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله"٥٣/٣ ، ح (٢٠٤٩) ، وهو جزء من حديث رواه أنس بن مالك.

(١٢٠) أخرجه الإمام البخاري ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٥٧/٣ ح (٢٠٧١) من حديث عروة– رضي الله عنه– .

(١٢١) التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن، ٤٧/١.

الناس ودلهم على دين الله سبحانه وتعالى. "وَوَجَدَكَ عَائِلًا فأغنى "، أي: إنك قد ذقت الفقر ثم أغناك الله سبحانه وتعالى، فإذا آتاك الله مالاً فأنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً"(١٢٢).

رابعا :" أيضا من الحكم في جعله – صلى الله عليه وسلم – أولًا فقيرًا، ثم إغنائه ، أنه لو كان متمولًا من أول الأمر .. لكان يسبق إلى بعض الأوهام أنه إنما وجد العز والغلبة بسبب المال، فلما علا كل العلو على الأغنياء والملوك .. عُلم أنه كان علوه من جهة الحق سبحانه"(١٢٣).

خامسا : من الحكم أيضا حتى لا يكون لأحد منة ولا فضل على النبي –عليه السلام– يقيده ويمنعه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون اعتماده من بادئ الأمر على الله أولا ثم على نفسه ثانيا؛ حتى يصدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم .

وهذا ما أشار إليه صاحب (فقه السيرة النبوية) حيث قال:"إن صاحب أي دعوة، لن تقوم لدعوته أي قيمة في الناس إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته أو على أساس من عطايا الناس وصدقاتهم , ولذا فقد كان صاحب الدعوة الإسلامية أحرى الناس كلهم بأن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي أو مورد شريف لا استجداء فيه حتى لا تكون عليه لأحد من الناس منة أو فضل في دنياه فيعوقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه غير مبال بالموقع الذي قد تقع من نفسه ، وهذا المعنى وإن لم يكن قد خطر في بال الرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذه الفترة ، إذ إنه لم يكن يعلم بما سيوكل إليه من شأن الدعوة والرسالة الإلهية، غير أن هذا المنهج الذي هيأه الله له ينطوي على هذه الحكمة ويوضح أن الله تعالى قد أراد أن لا يكون في شيء من حياة الرسول قبل البعثة ما يعرقل سبيل دعوته أو يؤثر عليها أي تأثير سلبي، فيما بعد البعثة"(١٢٤).

سادسا : في تلك النشأة اختبار وابتلاء من الله فكان في فقره صابرا عزيزا وفي غناه عفيفا شاكرا لله – عز وجل – .

(١٢٢) تفسير الشيخ أحمد حطيبة ، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، موقع الشبكة الإسلامية، دروس صوتيه تم تفريغها من الشبكة الإسلامية ، رقم الدرس ٤١٦ ، صـ ١٤.

(١٢٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، . محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ٩٤/٣٢.

(١٢٤) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، صـ ٥٠ .

يقول أبو زهرة[١٢٥] في كتابه(خاتم النبيين) : " لم يهنه –عليه السلام – الفقر ولم يذله القل، بل صبر عزيزا، وقنع كريما، وجد ليكسب قوته، وحاول أن يخرج من ضيق الفقر بقوة العمل، من ضنك العيش ببحبوحة النفس، وغناها، فكان الفقير العزيز الكريم العامل المكتسب المبين، فلم يقل فى فقره ربى أهانن، وعاش مع الضعفاء شاعرا بضعفهم، وبإحساسهم، لا يسير وراء الأمانى والأحلام، ثم اختبره الله تعالى بالمال، فكان الشاكر، الذى يفيض بالخير على غيره، ويعلم حق المال فى مورده، ومصرفه معا، فلا يكسب إلا من طيب، ولا ينفقه إلا فى طيب، وهو فى كسبه وإنفاقه لا يكون إلا نافعا، فكسبه طيب، وصرفه طيب" [١٢٦].

سابعا : لقد كان من الحكم وتدابير الله –عز وجل– أن ينشأ نبيه فقيرا حتى يقوم ببعض الأعمال التي كان لها عظيم الأثر عليه –صلوات الله عليه وسلم –، في إعداده وتأهليه لرسالة ربه .

سأذكر منها أمرين كانا لهما الأثر الأعظم :

الأول : الرحلة إلى بلاد الشام .

الثاني : رعي الأغنام .

أولا : الرحلة إلى بلاد الشام :

هذه الرحلة التي جاء ذكرها في كتب السنن فقد روي عن أبي موسى الأشعري[١٢٧] قال : " خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي –صلى الله عليه وسلم– في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت"، قال: " فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين " فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟، فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه

([١٢٥]) محمد بن أحمد أبو زهرة، أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، ولد سنة ١٣١٦هـ ، له كثير من المؤلفات منها: تاريخ الجدل في الإسلام، والأحوال الشخصية وغيرها ، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م. انظر:(الأعلام للزركلي، ٦/٢٥–٢٦ باختصار) .

([١٢٦]) خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٤٢٥ هـ ، ١/١٤٨.

([١٢٧]) عبد الله بن قيس بن سليم ،أحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين , و كان أحسن الصحابة صوتا في التلاوة , توفي سنة ٤٤هـ. انظر: (الأعلام للزركلي ، ٤/١١٤).

بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة"[١٢٨].

أثر تلك الرحلة على النبي – عليه السلام – :

لقد كان عمر النبي – عليه السلام – حينما سافر مع عمه اثنتى عشرة سنة، فكان في ريعان شبابه الأمر الذي مكنه من استيعاب كل ما رأي وما سمع، فقد كانت هذه الرحلة بالرغم من أن الغرض منها التجارة إلا أنها كانت بالنسبة له – صلى الله عليه وسلم – رحلة استكشافية من خلال الاختلاط والفهم والتدبر والنظر والتحليل.

ولقد وقعتا عيناه– عليه السلام – أثناء رحلته على الصحراء الممتدة الواسعة، وجعل يمر على ديار الأمم السابقة كديار مدين وثمود، كما عرف أخبار الروم والفرس، كل ذلك وغيره الكثير يراه النبي ويسمعه بإمعان وتفكر وتدبر، وفي كل هذا تمهيد له – صلوات الله عليه وسلم – لتلقي رسالة ربه، يقول أحمد غلوش في كتابه (السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي) :" لقد كان له –صلى الله عليه وسلم– من عظمة الروح، وذكاء القلب، ورجحان العقل، ودقة الملاحظة، وقوة الذاكرة، وغير ذلك من صفات حباه القدر بها ما مكنه من معرفة الواقع الحياتي لكل من قابله، تمهيدا للرسالة العظيمة التي أعده الله لها، الأمر الذي جعله ينظر إلى ما حوله نظرة الفاحص المحقق، فلا يستريح إلى كل ما يسمع ويرى، فيرجع إلى نفسه يسائلها: أين الحق من ذلك كله؟"[١٢٩].

أيضا : إن العمل بالتجارة في حد ذاته له مغزى مهم ؛ حيث إن التاجر هو الأدرى بنفوس الناس، فالناس منهم من يشتري ومنهم من لا يريد الشراء لكنه يقلب في البضائع وغرضه المتعة والتسلية ، والتاجر بدوره يتعامل مع كل صنف بما يراه مناسباً لبضاعته، كما يجب عليه أن يكون صبوراً مع من يشتري حتى يتوصل للنتيجة وهي البيع وأن يكون لطيفاً معهم، يتعامل معهم ببشاشة الوجه .

وهكذا استطاع النبي –عليه السلام– من خلال التجارة أن يتعرف على طبائع البشر ونفسياتهم بل وأدرك نفسيات المجتمع المحيط به فكان يعرف المؤمن من المنافق بل عرف المؤمن القوي الإيمان من المؤمن الضعيف ؛

([١٢٨]) أخرجه الإمام الترمذي مطولا في سننه ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في بدء نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – (سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م) ، ٥/٥٩٠، ح(٣٦٢٠) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

([١٢٩]) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ، أحمد غلوش صـ ٢١٤.

ولذا ضرب به المثل الأعلى في الصبر على قومه وأمته حتى وصل للغاية المنشودة وهي هدايتهم وإخراجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والمعرفة .

يقول الإمام السعدي رحمه الله :"كان- صلى الله عليه وسلم- سهلا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم"(١٣٠).

ومن هنا ندرك أن كل شئ يقع للنبي إنما هو بتدبير الله وحكمته، لإعداد نبيه لقبول رسالته وهو مطمئن القلب، واثقا أن ما جاءه هو الحق من ربه، وأنه هو النبي المذكور في دعوة نبي الله وخليله سيدنا ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (١٣١).

ثانيا : رعي الغنم :

من الأعمال التي قام بها النبي –عليه السلام – بتدبير من العلي الحكيم، وكان لها عظيم الأثر عليه – صلوات الله عليه وسلم – رعي الغنم، وقد أشار النبي – عليه السلام – لهذا العمل فيما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم"، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: "نعم، كنت أرعاها على قراريط(١٣٢) لأهل مكة"(١٣٣).

وقد دل هذا الحديث أن ما من نبي إلا وقد رعي الغنم، وهذا من مقتضى حكمته – عز وجل – لإعداد أنبيائه عامة ونبيه محمد خاصة لتحمل أعباء الرسالة والدعوة والجهاد ؛ حيث إن هذه المهنة بالذات تربي النفوس على سمات كثيرة لابد أن تتوفر في الداعية والقائد على حد سواء .

إذ في رعيها يحصل الحلم، والشفقة والرحمة، والصبر، وطول البال، والأناة

(١٣٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي، صـ ٨٧٨.

(١٣١) البقرة الآية ١٢٩.

(١٣٢) جمع قيراط وهو جزء من النقد وقيل قراريط اسم موضع قرب جياد بمكة . (انظر: فتح الباري، ٤١٤/٤).

(١٣٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط ،٨٨/٣ ح (٢٢٦٢) .

والتريث، وزجر الباغي، وجبر كسر الضعيف، ويربّي النفس على ملكة الحرص على المصلحة، ودفع المضرة، وحسن التعاهد.

وفي رعي الغنم دروس وفوائد وعبر، " يستفيد منها كل نبي، بترويضها والصبر عليها، مع اختلاف طبائعها، وتجشم المصاعب في سبيلها، وكأن من يعتاد هذا يستطيع بعده أن يسوس الناس ويروضهم ويصبر على أذاهم ويتحمل المشاق في سبيل دعوته ويكون عنده من القوة المادية والمعنوية والطاقة الخلقية ما يجتاز بها مهمته بنجاح في تبليغ وحي ربه، ويكون أيضاً مثلاً أعلى، وقمة أخلاقية لقومه"(١٣٤).

ويمكننا القول: إن مهنة الرعي تُعتبر مدرسة للدعاة، ترسخ في نفوسهم مجموعة من الصفات بل فيها فوائد تربوية ينبغي أن نتعلمها ونعلمها لأبنائنا والتي منها :

أولا : الرحمة والرأفة .

لقد شاءت إرادة المولي – عز وجل – أن يرعي نبيه الغنم لكي يغرس في نفسه – عليه السلام – الرحمة والشفقة على أتباعه وخصمائه على حد سواء ؛ طمعا في هدايتهم ، قال تعالى : ﴿ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ ﴾ (١٣٥) يقول إسماعيل حقي(١٣٦) في كتابه" روح البيان " موضحا تلك الحكمة :"ومن حكمة الله فى ذلك أن الرجل إذا استرعى الغنم التي هى أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هرب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون فى أعدل الأحوال"(١٣٧).

والرحمة والرأفة من القيم التي ينبغي أن نربي عليها أبناءنا ولتحقيق ذلك يجب على المربين التحلي بها أولا، ولقد أخبر القرآن الكريم أن الله –عز وجل– جعل المودة والرحمة بين الأزواج قال – عز من قائل : ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ ﴾(١٣٨) "فإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة، والاطمئنان النفسي المتبادل، فحينئذ يتربى الناشئ في جو سعيد يهبه الثقة،

(١٣٤) اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق، أحمد بن أحمد محمد عبد الله الطويل، دار كنوز إشبيليا للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م ، صـ ٥٣.

(١٣٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(١٣٦) إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر، من مؤلفاته:روح البيان في تفسير القرآن، الرسالة الخليلية، توفي سنة ١١٢٧هـ–١٧١٥م . انظر: (الأعلام للزركلي، ٣١٣/١.)

(١٣٧) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء ، دار الفكر – بيروت، ٥٠٩/٥.

(١٣٨) سورة الروم من الآية ٢١.

والاطمئنان والعطف والمودة، بعيدا عن القلق وعن العقد، والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته، أما إذا لم تتحقق الرحمة بالأولاد بالشكل الكافي المتزن، ينشأ الطفل منحرفا في مجتمعه، لا يحسن التآلف مع الآخرين، ولا يستطيع التعاون أو تقديم الخدمات والتضحيات، وقد يكبر فلا يستطيع أن يكون أبا رحيما، أو زوجا متزنا حسن المعشر، ولا جارا مستقيما لا يؤذي جيرانه، وهكذا دواليك"[١٣٩].

ولقد ضرب لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعظم الأمثلة في محبته للأطفال ورحمته بهم، من ذلك ما رواه أبوهريرة –رضي الله عنه – قال: قبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الحسن بن علي[١٤٠]، وعنده الأقرع بن حابس التميمي[١٤١] جالسا، فقال الأقرع: "إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا"، فنظر إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم"[١٤٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "جاء أعرابي إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال: "تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك[١٤٣]؟ "[١٤٤]، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأخذ أسامة بن زيد فيقعده على فخذه، ويقعد

---

(١٣٩) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، صـ ١١٢-١١٣ باختصار.

(١٤٠) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، يكنى أبا محمد سكن المدينة والكوفة، ولد في رمضان سنة ثلاث من الهجرة، أوصى إلى أخيه الحسين ومات بالمدينة سنة إحدى وخمسين ودفن في بقيع الغرقد . انظر: (مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، صـ ٢٤- ٢٥، ومعجم الصحابة للبغوي، ٨/٢).

(١٤١) الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارميّ التميمي صحابي، من سادات العرب في الجاهلية، قدم على رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– في وفد من بني دارم (من تميم) فأسلموا، وشهد حنينا وفتح مكة والطائف ، وسكن المدينة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، استشهد سنة ١٣ هـ . انظر: (الأعلام للزركلي ٥/٢).

(١٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٧/٨، ح(٥٩٩٧) .

(١٤٣) أي لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منك . (فتح الباري لابن حجر ٤٣٠/١٠).

(١٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٧/٨، ح(٥٩٩٨).

الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما ثم يقول: "اللهم ارحمهما فإني أرحمهما" (١٤٥).

وقد جاءت التجارب الواقعية والنظريات العلمية مؤيدة هذا المبدأ التربوي النبوي حيث " ثبت أن الطفل الرضيع لا ينمو على الغذاء فحسب، بل على عطف الأم الذي لا يقل أهمية عن الغذاء بل هو أهم منه فى تربية شخصية الناشئ، وأن قوام الأسرة هو الحب المتبادل، حتى إذا شب الطفل، استطاع نقل هذا الحب معه إلى خارج الأسرة، إلى المجتمع الإسلامي، فيتراحم المسلمون، ويتحاب أفراد المجتمع"(١٤٦).

ثانيا : الصبر.

تحتاج النبوة إلى التحلي بالخلق الكريم –لا سيما – الحلم والصبر، وذلك أمر يحققه رعي الغنم؛ لأن القطيع يرعى وهو مطلق السراح، فيتوزع هنا وهنا، وكلما يجمعه الراعي يعود من حيث أتى، وذلك أمر يحتاج إلى كثير من الصبر وشدة التحمل، "ومن رعي الغنم إذن تعلَّم الأنبياء الصبر والتحمل في دعوة الناس؛ لأن المدعوين ليسوا على اتجاه واحد، وإنما لكل اتجاهه ومذهبه وجدله، والنبي مسئول عن تبليغ الدعوة للناس على الوجه الصحيح؛ ولذلك وجب أن يكون صابرا حليما"(١٤٧).

يقول ابن حجر – رحمه الله – :"الحكمة في إلهام الأنبياء رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة.. لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح أحسن، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق.. وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة.. ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة.." (١٤٨).

والصبر أيضا من الأخلاق الحميدة التي ينبغي أن نربي عليه أبناءنا؛ فالصبر يجعلهم أقوي وأجلد عند مواجهة عثرات الحياة، والوقوف بوجه الصعاب؛ لتحقيق أهدافهم وما يسمون إليه من معالى الأمور في الدنيا والآخرة ." فبالصبر يتمكن الإنسان بطمأنينة

---

(١٤٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب وضع الصبي على الفخد، ٨/٨، ح(٦٠٠٣) .

(١٤٦) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي، صـ١١٤.

(١٤٧) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد غلوش صـ، ٢١٦.

(١٤٨) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني، ٤٤١/٤، بتصرف .

وثبات أن يضع الأشياء في مواضعها، ويتصرف في الأمور بعقل واتزان وينفذ ما يريد من تصرف في الزمن المناسب، بالطريقة المناسبة الحكيمة، وعلى الوجه المناسب الحكيم، بخلاف عدم الصبر الذي يدفع إلى التسرع والعجلة فيضع الإنسان الأشياء في غير مواضعها، ويتصرف برعونة فيخطئ في تحديد الزمان، ويسيء في طريقة التنفيذ، وربما يكون صاحب حق أو يريد الخير فيغدو جانيا أو مفسدا ولو أنه اعتصم بالصبر لسلم من كل ذلك "[١٤٩]، لهذا أوصى لقمان ابنه بالصبر بقوله كما حكي عنه القرآن ﴿ الْمُنَافِقُونَ النَّجَّابُ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ ﴾ [١٥٠].

ثالثا : فرصة للتأمل والتفكر.

إن راعي الغنم يقضي فترة طويلة في الصحراء يرعي غنمه من الصباح للمساء فيتمتع بالسماء الصافية، والشمس المشرقة، والهواء النقي، ويطيل التأمل والنظر في السماء ذات الأبراج، والأرض ذات الفجاج، والجبال ذات الألوان، وبذلك يصير التأمل والتدبر عنده ملكة من ملكات نفسه وسمة من سمات شخصيته، ولا ريب في أن التأمل يمثل جانبا تربويا مهما تهدف إليه التربية الإسلامية ؛ "حيث يتيح له معرفة المغزى والمآل لأمر ما يشاهده الإنسان ويتبصر فيه ويتدبره ويقوم باستقرائه ومقايسته فيصل إلى نتيجة مؤثرة يخشع لها قلبه، فيدفعه ذلك إلى سلوك فكري واجتماعي مناسب"[١٥١].

رابعا : الاعتماد على النفس تحمل المسئولية .

لقد ضرب لنا – رسول الله صلى الله عليه وسلم – برعيه الغنم مثلا يحتذى به في التوكل على الله والاعتماد على النفس، وتحمل المسئولية، فعلى الرغم من أنه كان في كنف عمه أبي طالب وتحت رعايته إلا أنه – صلوات الله عيه وسلم – سارع في البحث عن مهنة لما رأى ضيق حال عمه وكثرة عياله، فلم يرد – عليه السلام – أن يكون عبئا أو عالة عليه .

وكل هذا بتدبير من خالقه ؛ فالله هو الرازق القادر على أن يرزق عباده خاصة نبيه ومصطفاه دون جهد أو تعب ، لكنه جل جلاله أراد أن يعلمه ويعلم جميع الخلائق الأخذ بالأسباب متوكلين عليه لا متواكلين .

فعلى الشباب المسلم أن يعملوا ويجتهدوا في طلب الرزق فأطيب الرزق ما

([١٤٩]) معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه ، عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السنة الثامنة والعشرون – ١٤١٧هـ – ١٤١٨هـ، صـ ٤٥٧–٤٥٨.

([١٥٠]) سورة لقمان من الآية : ١٧ .

([١٥١]) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، صـ ٢١ ، بتصرف يسير .

كان بعرقه وبتعب يده، وهذا من أشرف الكسب، فيبيت وقد غفر الله –عز وجل– له بكسبه وتعبه، ولا يجلس فارغاً في بيته ويقول: لم أجد العمل المناسب، بل إذا وجد عملاً ولو رآه غير مناسب أو بسيطا وهو حلال فهو أفضل له عند الله –عز وجل– من أن يتكفف الناس، ويمد يده إليهم، وينتظر من ينفق عليه .

"فالأنبياء كانوا يتعبون، وكانوا يتوكلون على الله سبحانه، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى عن داود: ﴿ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ ﴾[١٥٢] ، فعلمه صنعة الدروع، وعلم سيدنا نوحاً كيف ينجر ويصنع السفينة، والنبي – صلى الله عليه وسلم – تاجر وتعب، – صلوات الله وسلامه عليه –، وقد رعى الغنم قبل ذلك –عليه الصلاة والسلام –، ثم شرفه الله – عز وجل – بالجهاد في سبيله، وجعل رزقه تحت ظل رمحه، فالإنسان المؤمن لا يأنف من طلب الرزق طالما أنه من وجه حلال"[١٥٣].

خامسا : التواضع .

لاشك أن من يرعى الغنم ويقوم على ما يلزمهم من مأكل ومشرب ونظافة المكان الذي يبيتون فيه دون ملل أو فتور هو إنسان متواضع في ذاته ؛ لأن هذا العمل يأباه كثير من الناس ويستعلون عن القيام به، وبقيامه هو به يكون قد ملك نفسه وقهرها وراودها على التواضع دون ذل أو انكسار.

وهذا ما يحتاجه كل انسان منا أن يكون متواضعا يقدم المعونة والمساعدة لغيره حتى ولو كان من يساعده ضعيفا أو عليلا أو فقيرا أو حتى بهيمة، يساعده ابتغاء وجه الله الكريم لا رياءا ولا سمعه، وإن كان الشخص العادي يجب أن يكون متواضعا فحري بالدعاة أن يكونوا أكثر تواضعهم لا يتأففون ولا يتكبرون أو يضجرون ممن حولهم حتى تلمس دعوتهم قلوب الناس وتصل إلى السواد الأعظم منهم، يقول أحمد غلوش : " إن قيام الأنبياء برعي الغنم يعوِّدهم التواضع وترك الكبر؛ لأن رعاية الغنم والحرص عليها يحتاج إلى العمل الدؤوب بعيدا عن الخيلاء؛ حيث لا فخر بعمل كله تعب ومشقة، تحت حر الشمس، أو في برد الشتاء، والنبوة في حاجة إلى هذا التواضع الذي يجعل الأنبياء يتعاملون بالخلق الكريم مع كافة الناس، مع الرجال والنساء، مع الأغنياء والفقراء، مع الكبير والصغير، مع العظيم والحقير، وبذلك كانوا أمثلة عليا، وقدوة سامية"[١٥٤].

([١٥٢]) سورة النبياء من الآية : ٨٠ .

([١٥٣]) تفسير الشيخ أحمد حطيبة، الدرس رقم ١٠٧ صـ٧ .

([١٥٤]) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد غلوش، صـ ٢١٨.

والتواضع خلق نبوي عظيم "يجب على الآباء أن يعودوا أبنائهم ويدربوهم عليه، تأسيا بقول النبي –عليه السلام –:" إن الله أوصى إليّ أَن تواضعوا حَتَّى لَا يفخر أحد على أحد"[١٥٥] وعلى الأبناء أن يسموا سلوكهم بالتواضع في كل شيء، في بيوتهم ومع ذويهم، وفي مدارسهم ومع معلميهم، وفي مجتمعهم ومع علمائهم، ومع الناس جميعا، وفي المقابل أيضا عليهم أن يحذروا من الوقوع في الكبر وعجب النفس فإن ذلك يؤدي بصاحبه إلى غمط الحق، وطمس معالمه، وفي النهاية يقوده إلى الدمار والهلاك وغضب الله عليه "[١٥٦].

سادسا : الشجاعة .

لو نظرنا إلى حال راعي الغنم وهو يخرج من بيته من الصباح الباكر مصطحبا غنمه ذاهبا لأماكن المرعي ، هذه الأماكن التي تكون في الغالب بعيدة عن أعين الناس ولا تكاد تخلو من وجود الذئاب والحيوانات المفترسة بل قد يواجه قطاع الطرق ؛ لذلك عليه أن يكون شجاعا قويا حتى يتمكن من حماية غنمه .

وهذا شأن الانبياء الذين اختار الله لهم تلك المهنة التي تعلموا منها الشجاعة والإقدام ومواجهة الأعداء، لكي يتمكنوا من نشر دعوتهم فطريق الدعوة ليس سهلا لينا مليئا بالورود بل طريق صعب مليئ بالأشواك والمنحنيات، فهم يقتلعون ما غرس من عادات وتقاليد متأصلة في نفوس أصحابها، ومن الطبيعي أنهم سيواجهون أقواما رافضين معاندين مستكبرين وكل ذلك يحتاج منهم إلى التسلح بسلاح الشجاعة والقوة .

ومن هنا ندرك ضرورة تربية أولادنا على الشجاعة وغرس صفات البطولة والإقدام في نفوسهم التي من شأنها أن تساهم في تكوين رجال قادرين على حمل أمانة الدعوة والجهاد في سبيل الله، ونُبعدهم عن حياة الرغد والترف ونُعوِّدهم على حياة الخشونة والتقشف المتعمد ليكتسبوا هذه الصفات ويتعودوا عليها، وما أحوجنا في هذا العصر إلى هذا النوع من التربية ؛ خاصة ونحن نعيش في عصر مليئ بكل وسائل الترفيه والإلهاء ، حتى بات الأطفال يصبحون ويمسون عليها بلا ملل ولا انقطاع.

نسأل الله العظيم أن يحفظنا ويحفظ أبناءنا من كل تلك المغريات التى صدرها لنا أعداء الإسلام والمسلمين .

سابعا : حسن القيادة .

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة أهلها ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/٢١٩٨، ح(٢٨٦٥)، من حديث عياض بن حمار .

(١٥٦) معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، صـ ٤٨٠.

من الملاحظ أن الغنم دون سائر الدواب تتميز بسرعة تحركها وتفرقها، وراعيها يبذل الجهد الأكبر في تجميعها بجوار بعضها البعض ولابد أن يكون حكيما في رعيها، فكأن الله عز وجل بمقتضى حكمته اختار لنبيه مهنة رعي الغنم خاصة لكي يتمرن وينتقل من سياسة الغنم إلى سياسة الأمم، ومن هنا تتضح الحكمة في تخصيص رعي الأغنام دون سائر الدواب كالبقر والإبل ؛ يقول سعيد حوي في كتابه " الأساس في السيرة النبوية وفقهها":"وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل البقر، وبالإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها"[١٥٧].

وبالجملة فحرفة الرعي حرفة عظيمة، وعمل شريف، لها فضائل ومزايا جمة، وفوائد تربوية عظيمة كتعود الصبر، والحلم والأناة والرفق، والصدق، والحكمة، والسياسة والحنكة، ولا يعني هذا أننا نلزم أبنائنا بهذه الحرفة – لاسيما –ونحن في هذا العصر الذي انتشرت فيه كل الوسائل الحديثة، ولكن يكفي أن نعلم أبناءنا – وهم في الصغر – تلك الصفات بأساليب تربوية ملائمة لطبيعتهم وطبيعة بيئتهم، فالأبناء في سن الصغر يكون توجهيهم وتعليمهم أسهل، بل أي توجيه لهم يظل ملازما لهم طوال حياتهم، فإذا غرسنا في قلبه حب الله وحب رسوله والتحلي بالأخلاق الحميدة نشأ على ذلك وكانت له السعادة في الدارين، أما إذا تعود على الأخلاق الذميمة ولم يجد في صغره من يمد له يد العون بالتوجيه والإرشاد نشأ على ذلك وكانت له التعاسة في الدارين، يقول الإمام الغزالي[١٥٨]: " الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له" [١٥٩].

([١٥٧]) الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية ، سعيد حوّى , دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، ١٦٨/١.

([١٥٨]) محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام ، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف ، مولده ووفاته في الطابران ، من كتبه إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة وغيرهم توفي سنة ٥٠٥هـ- ١١١١م. انظر: (الأعلام للزركلي ٢٢/٧).

([١٥٩]) إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة – بيروت، ٧٢/٣.

ولهذا يجب على كل ولي أمر غرس القيم الدينية والأخلاق الحميدة في قلب أبنائه ولا يهمله بحجة أنه صغير ؛ لأنه إن لم يعلمه في صغره فلم تحن له فرصة تعليمه في كبره، يقول الإمام ابن القيم[١٦٠] –رحمه الله –:" من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا"[١٦١].

هذه بعض من الحكم في اختيار الله لنبيه بل ولجميع أنبيائه تلك المهنة التي بمقتضاها ترسخ في نفوسهم تلك الصفات الجليلة بل وترسخت في نفس كل مقتد بهم في كل زمان ومكان .

وهكذا قدر الله لنبيه الفقر وقلة المال ليسافر ويتاجر ويرعى الغنم، ثم أغناه – وتزوج السيدة خديجة، وشرفت خديجة – رضي الله عنها– بزواجه، فكان يعمل في مالها، ويأكل من ثمرة عمله، وكان في هذا الإغناء أيضا عظيم الأثر لتحمل أعباء رسالة ربه ؛ إذ رفع الله عن كاهله عناء الفقر وبدأ يعيش حياة هادئة، فاختلى بنفسه الشريفة بعيدا عن الناس في صمت وسكون وتأمل وفكر، حتى جاءه اليقين من ربه .

وبذلك تمت نعمته –عز وجل– على نبيه بالإيواء والهداية والإغناء وتلك هي العناية الإلهية التي كانت الأساس في تكوين شخصيته صلوات الله عليه وسلم .

يقول محمد سعيد البوطي :" لقد كان ثمة عناية إلهية خاصة تسيّره وتأخذ بيده، هذه العناية الإلهية الخاصة التي جعلت لشباب النبي –صلى الله عليه وسلم– طريقا دقيقا من النور يمخر عباب ظلام الجاهلية، من أعظم الآيات الدالة على معنى النبوة التي خلقه الله لها وهيأه لحمل أعبائها، وعلى أن معنى النبوة هو الأساس في تكوين شخصيته واتجاهاته النفسية والفكرية والسلوكية في الحياة"[١٦٢].

---

(١٦٠) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق، من مؤلفاته : إعلام الموقعين،الطرق الحكمية في السياسة الشرعية توفي سنة ٧٥١هـ-١٣٥٠م .انظر: (الأعلام للزركلي ٥٦/٦).

(١٦١) تحفة المودود بأحكام المولود ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان – دمشق ، الطبعة الأولى، ١٣٩١ هـ- ١٩٧١م، صـ ٢٢٩.

(١٦٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، صـ ٥١ . بتصرف يسير.

هكذا كانت حياته – صلى الله عليه وسلم – قبل بعثته وقبل تحمله أعباء رسالة ربه فكل لحظة في حياته وكل أمر كان من تدبير الله وحكمته ليصنع نبيه على عينه ويكون خلقه كما أثنى عليه خلقا عظيما قال تعالى :" ﴿ الْحِجْرِ الْجَمَالِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ ﴾ (١٦٣)، وحسبه – صلى الله عليه وسلم – بهذا الوصف الكريم عزّا وشرفا، حيث "توّجه ربه– جلّ وعلا– بتاج الكمال كله، إذ ليس بعد حسن الخلق حلية تتحلى بها النفوس، أو تاج تتّوج به الرءوس.. ففى مغارس الخلق الحسن، كانت رسالات المرسلين، ومن أجل حماية هذه المغارس، وإطلاع ثمرها، كانت دعوة الرسل، وكان جهادهم، الذي توّج بدعوة سيد الرسل، وجهاد خاتم النبيين"(١٦٤) .

وصلى الله وسلم على رسوله وصحبه وسلم .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على حبيبه المصطفي ونبيه المختار سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد : فقد انتهيت بتوفيق من الله وسداده من البحث وعنوانه "النشأة النبوية وقيمها التربوية في ضوء سورة الضحى .

وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها :

١- إن الله اصطفي نبيه وحبيبه محمداً – صلى الله عليه وسلم – وأعده من بين خلقه لتحمل أعباء الرسالة الخاتمة وتبليغ شريعته .

٢- عناية الله – عز وجل – بنبيه – صلى الله عليه وسلم – وصنعه على عينه ليكون الرسول الأعظم والنبي الخاتم، ورسالته هي المنهاج القويم التي تهدينا إلى الطريق المستقيم.

٣- لن ترقى أمة من الأمم ولن تعلو في مراتب المجد إلا إذا تحمل أبناؤها المسئولية ، وبذلوا في سبيل تحقيق ذلك التضحيات الغالية، والجهد الكبير.

٤- أتاح البحث دراسة جانب من سيرته العطرة تلك السيرة التي تؤجج المشاعر وتشحذ الهمم، نحو الحياة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والترقي في محبته، بل وتشهد على عظمته، وكريم أخلاقه، وعظيم إيمانه.

٥- إن سورة الضحى تعد السورة الوحيدة في القرآن التي جاءت كلها خالصة له – صلى الله عليه وسلم – تسرية وتسلية وترويحا وتطمينا له – صلوات الله وسلامه عليه– .

(١٦٣) سورة القلم آية ٤.

(١٦٤) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب، ١٥/ ١٠٨١– ١٠٨٢ .

٦- إن سورة الضحى كان نزولها بمكة بعد سورة الفجر، وقد سميت بذلك لافتتاحها بلفظ الضحى .

٧- الغرض من السورة تثبيت النبي – عليه السلام – وإبطال مزاعم المشركين، وبشارته – صلى الله عليه وسلم – بأن الآخرة خير له من الأولى .

٨- لم يثبت حديث نبوي فضل سورة الضحي بفضل معين، ولكن شأنها ككل سور القرآن يحصل بقراءتها السكينة، وينال تاليها الأجر العظيم .

٩- إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أحاطته العناية الربانية والرعاية الإلهية في كل أطوار حياته – صلوات الله وسلامه عليه – كما وضحت السورة.

١٠- إذا كان النبي – عليه السلام – قد ولد يتيما فالله – عز وجل – نجاه من آثار اليتم السيئة.

١١- الحكمة في كون كافل اليتيم منزلته في الجنة بالقرب من النبي أو تشبه منزلة النبي ؛ لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومعلما ومرشدا ، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه.

١٢- إن الله – جل جلاله – قد اختار لنبيه اليتم لحكم بالغة، وأهداف سامية وضحها البحث .

١٣- في يتمه – صلى الله عليه وسلم – القدوة لكل الشباب المسلم ليضعوا نصب أعينهم كيف ليتيم أن يكون أعظم شخصية في هذا الكون، وكيف ليتيم أن يكون له عظيم الأثر، وأن يغير مجرى التاريخ بأكمله .

١٤- إن لوجود الأباء أهمية كبرى في حياة الأبناء، ولكن ليس شرطاً لكي تتواصل الحياة، وكذا غيابهم لا يعد عائقاً.

١٥- من الحكم في ولادته – صلى الله عليه وسلم– يتيما تأكيدا لحقيقة غائبة عن الكثير من الناس، وهي أن الأمور كلها بقدرة الله تعالى، وليس للإنسان في عمله إلا التوكل والعمل.

١٦- نشأ النبي عليه السلام موحدا طاهر الخلق ، لم يسجد لصنم، ، ولم يرتكب فاحشة، حتى عرف بين قومه بالصادق الأمين .

١٧- البيئة وإن كانت لها أهمية كبرى في التربية ، إلا أن الفطرة السليمة أظهرت أنه لا فرق بالنسبة للإنسان المولود فيها إن كان في بيئة صالحة أو فاسدة، طالما أن الله قد تفضل عليه بنعمة

العقل والتفكير الصحيح والذي يقوده إلى الحق والبعد عن الباطل .

١٨- الهداية والضلال من الله، ومهما بلغ المرء درجات التقوى والصلاح فإنه معرض للفتنة والانحراف واتباع الشهوات ولا عاصم له من هذا كله سوى رحمة الله تعالى .

١٩- إن الله – جل جلاله – حصن رسوله المصطفى من الضلال بحصانة معنوية حيث الإلهام واليقين بأن ما عليه قومه باطل، والحصانة الحسية والتي تمثلت في شق الصدر ؛ ليعيش طاهر الظاهر والباطن بحفظ الله وتوفيقه .

٢٠- بدأ الله سبحانه وتعالى بالحالة الأولى " اليتم " ، حتى إذا بلغ تأتي الهداية في المرتبة الثانية، ثم العائل الغني يجب أن يسير على الهداية فهذا هو الترتيب الطبيعي في الحياة .

٢١- أغنى الله – عز وجل – نبيه غناءين: أعظمهما غنى القلب إذ ألقى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا، وغنى المال حين ألهم خديجة مقارضته في تجارتها.

٢٢- إن وجود الأنبياء في حال التجرّد عن الدنيا ومشاغلها أمر لا بد منه، لأنهم لو وجدوا أغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية .

٢٣- خير مال الإنسان ما اكتسبه بكدّ يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه، وشر المال ما أصابه الإنسان وهو مستلق على ظهره ، دون أن يبذل أي تعب في سبيله، ودون أن يقدم أي فائدة للمجتمع في مقابله.

٢٤- استعمل القرآن في الآيات الثلاث، الفعل {وَجَدَ} وهو من أفعال القلوب ولم يقل مثلاً: أما كنت يتيماً، وكنت عائلاً، حتى يسيطر الجو المعنوي النفسي على الموقف، ويهيء للرسول الطمأنينة الوجدانية لتلقى الآيات الكريمة.

٢٥- إن من الحكم وتدابير الله –عز وجل– أن ينشأ نبيه فقيرا حتى يقوم ببعض الأعمال التي كان لها عظيم الأثر عليه –صلوات الله عليه وسلامه –، في إعداده وتأهليه لرسالة ربه كالرحلة إلى بلاد الشام، ورعي الغنم.

٢٦- استطاع النبي –عليه السلام– من خلال التجارة أن يتعرف على طبائع البشر ونفسياتهم بل وأدرك نفسيات المجتمع المحيط به فكان يعرف المؤمن من المنافق بل عرف المؤمن القوي الإيمان من المؤمن الضعيف .

٢٧- ما من نبي إلا وقد رعي الغنم، وهذا من مقتضى حكمته – عز وجل – لإعداد أنبيائه عامة ونبيه محمد خاصة

لتحمل أعباء الرسالة والدعوة والجهاد ؛ حيث إن هذه المهنة بالذات تربي النفوس على سمات كثيرة لابد أن تتوفر في الداعية والقائد على حد سواء .

٢٨- حرفة الرعي حرفة عظيمة، وعمل شريف، لها فضائل ومزايا جمة كالصبر، والحلم والأناة والرفق، والصدق، والحكمة، والسياسة والحنكة.

التوصيات :

١- توصي الباحثة بالتوسع في دراسة مراحل النشأة النبوية كما تحدثت عنها السورة الكريمة واستنباط العبر والدروس والقيم التربوية الأصيلة منها .

٢- كما توصي الباحثة بأنه على المؤسسات المجتمعية والجمعيات الخيرية ودور اليتامي والإصلاحيات أن تعيد النظر في رسم مناهجها القديمة، فلا يقف دورها على توفير المأوي والطعام والشراب والملبس وغيرهم من مستلزمات الحياة بل لابد أن يتعدى هذا الدور إلى آفاق أعلى وغايات أسمى، وذلك بزرع الطموح والأمل لدى أولئك النشأ، فكم من يتامى أبدعوا وكم من ضالين صاروا أئمة، وكم من فقراء أصبحوا من ذوي الثروة والنفوذ، والأمثلة كثيرة .

٣- كما توصي الباحثة بالتوجه إلى القصص القرآني ودراسة جوانبه التربوية واستخلاص القوانين التي قد تغنينا عن كل ما هو مستحدث ومستغرب .

وفي قرآننا – والحمد لله – العلم الوفير والخير الكثير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع والمصادر :

- القرآن الكريم .
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦ .
- اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق، أحمد بن أحمد محمد عبد الله الطويل، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
- الأساس في التفسيرالمؤلف: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)الناشر: دار السلام – القاهرة –الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ
- الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،

- الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- أسرار ترتيب القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع .
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢ م.
- إمتاَعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري، إلياس بن أحمد حسين - الشهير بالساعاتي - بن سليمان بن مقبول علي البرماوي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤م .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
- بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) مطبعة الترقي - دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.
- بيئات التربية الإسلامية، عباس محجوب، الناشر :الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشر - العدد السادس والأربعون - ربيع الآخر- جمادى الأولى - جمادى الثانية، ١٤٠٠هـ .
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية .

- تاريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء – المنصورة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٩١ – ١٩٧١.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السابعة .
- تفسير الشيخ أحمد حطيبة، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، موقع الشبكة الإسلامية، دروس صوتيه تم تفريغها من الشبكة الإسلامية.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ .
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى .
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
- التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، دار ابن الجوزي للنشر

- والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ .
- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م .
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، محمد حسين هيكل (المتوفى: ١٣٧٦هـ) بدون طبعة.
- خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥ هـ .
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
- السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والمرتبة والبيان والعمل، رقية بنت نصر الله نياز، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .
- سنن ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،

دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- السيرة النبوية – دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ .
- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ .
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م .
- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ–١٩٩٦م .
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م .
- طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩،

رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي .

- فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .
- مصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت .

- معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثامنة والعشرون – ١٤١٧هـ – ١٤١٨هـ .
- معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ)، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.
- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .
- من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، كمال الدين عبد الغني المرسي، دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت 'الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ
- النبوة: اصطفاء وقدوة (السنة ٣٣ – العدد ١١٣)، أحمد مختار البزرة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية – العدد الثالث، محرم ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، دار الفيحاء – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٢٥ هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت .